بسم الله الرحمن الرحيم

٦٠ ـ كتاب أحاديث الأنْبياء

قوله (بسم الله الرحمن الرحيم: كتاب أحاديث الأنبياء) وقع في ذكر الأنبياء حديث أبي ذر مرفوعا «إنهم مائة ألفا وأربعة وعشرون ألف، الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر» صححه ابن حبان. والنبوة نعمة يمن بها على من يشاء ولا يبلغها أحد بعلمه ولا كشفه ولا يستقها باستعداد ولايته، ومعناها الحقيقي شرعا من حصلت له النبوة.

١ ـ باب خَلْقِ آدَمَ وذُرِّيَّته

{صلْصال}: طينٌ خُلطَ برمل، فصلْصَلَ كما يصلصل الفخَّار، ويقال مُنتنٌ يريدون به صلّ، كما يقال صرَّ البابُ وصَرْصَر عند الإغلاق، مثل كبْكبْتُهُ يعني كببتُه.{فمرَّت به}: استمرَّ بها الحمل فأتَمَّتْهُ. {أن لا تَسجُدَ}: أن تسجد. وقول الله تعالى [٣٠ البقرة]: {وإذْ قالَ ربُّكَ للملائكة إني جاعلٌ في الأرْضِ خليفةً} قال ابنُ عبَّاسٍ {لمَّا عليها حافظ}: إلا عليها حافظ. {في كَبَد} في شدَّة خلق. {ورياشاً}: المال. وقال غيرهُ الرِّياش والرِّيشُ واحد وهوَ ما ظهرَ من اللباس. {ماتُمْنونَ}: النُّطفَةُ في أرحام النِّساءِ. وقال مجاهد {إنهُ على رجْعِهِ لقادرٌ}: النطفة في الإحْليل. كل شيءٍ خلقه فهو {شفع}: السماءُ شفع. {والوَتْرُ} الله عزَّ وجلَّ. {في أحسَنِ تقويم} في أحسن خلق، {أسفَلَ سافلينَ} إلا من آمَن. {خُسْرٍ}: ضلال، ثمَّ استثنى فقالَ إلا من آمن. {لازب} لازم. {ننشئكم} في أي خلقٍ نشاء. {نُسَبِّحُ بحمدك}: نعظِّمُكَ. وقال أبو العالية {فتلقَّى آدمُ من ربِّه كلمات}: فهو قولهُ {ربَّنا ظلمنَا أنفسنا}. {فأزلَّهما}: فاستزلَّهما. و {يتسنَّهْ} يتغيَّر. {آسِن}: متغيِّر. و {المسْنون}: المتغيِّر. {حَمأٍ} جمع حَمْأة وهو الطين المتغيِّر. {يخصِفان}: أخْذُ الخصاف {من ورق الجنة} يؤلِّفان الورق ويخصفان بعض إلى بعض. {سوآتهما}: كناية عن فرجيهما. {ومتَاع إلى حين} ها هنا إلى يوم القيامة، الحين عند العرب: من ساعة إلى مالايُحْصَى عدده. {قَبِيلُه} جيلهُ الذي هو منهم.

٣٣٢٦ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ النبيِّ ﷺ قال: «خَلَقَ اللهُ آدَم وطولهُ ستُّونَ ذراعًا، ثم قالَ: اذهب فسلِّمْ عَلَى أولئكَ منَ الملائكة فاستَمع ما يُحيُّونَكَ، تحيَّتُك وتَحيَّةُ ذُرِّيتكَ. فقالَ: السَّلامُ عليكمْ فقالُوا: السلام عليك ورحمةُ الله . فَزادُوهُ ورحْمَةُ الله فكُلُّ من يَدخُلُ الجنَّةَ على صُورَةِ آدَمَ، فلمْ يَزَلِ الخَلْقُ ينقُصُ حتى الآنَ».

[الحديث ٣٣٢٦ - طرفه في: ٦٢٢٧]

٣٣٢٧ ـ عن أبي هريرةَ رضي الله عنهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «أوَّل زُمْرَةٍ يدخُلُون الجنَّة على صورةِ القَمَرِ ليَلةَ البدْرِ، ثم الَّذين يلونَهمْ على أشَدِّ كوكبٍ درِّيٍّ في السَّماءِ إضاءَةً، لا يبولُونَ ولا يَتَغوَّطُونَ ولا يَتفُلُونَ ولا يَمْتخطُون، أمْشاطُهُمْ الذَّهبُ ورشْحُهُمْ

المسكُ ومجامرُهُمْ الألوَّةُ، الألَنْجُوجُ عودُ الطِّيب، وأزْواجهِمُ الحُورُ العينُ على خلقِ رجُلٍ واحدٍ على صورَةِ أبيهِمْ آدَمَ ستُّون ذراعاً في السَّمَاءِ».

٣٣٢٨ ـ عن أمِّ سُلَيم قالتْ: يا رسولَ اللهِ إنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ، فَهَلْ عَلَى المرْأةِ الغُسْلُ إذا احْتَلَمَتْ؟ قالَ: نعمْ، إذا رَأتِ الماءَ. فضحكَتْ أمُّ سلمَةَ فَقالَتْ: تَحْتَلِمَ المرأة ؟ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ بما يُشبِهُ الوَلَدَ؟».

٣٣٢٩ ـ عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «بَلَغَ عبْدَ اللهِ بنَ سلامٍ مقدَمُ النَّبيِّ ﷺ المدينة، فأتَاهُ فقالَ: إنِّي سائِلُكَ عن ثلاثٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إلا نَبيٌّ، قالَ ما أوَّلُ أشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وما أوَّلُ طعامٍ يأكُلُهُ أهْلُ الجَنَّةِ؟ ومنْ أيِّ شيءٍ ينزِعُ الولد إلى أبيهِ ومنْ أيِّ شيءٍ يَنْزِعُ إلِى أخْوَاله؟ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: خبَّرَنِي بِهِنَّ آنفاً جبريلُ. قال فقالَ عبدُ اللهِ: ذاكَ عدُوُّ اليَهود من الملائكَةِ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: أمَّا أوَّلُ أشراطِ السَّاعةِ فنارٌ تحشُرُ الناسَ من المشرقِ إلى المغرِب. وأمَّا أولُ طعامٍ يأكلُهُ أهلُ الجنَّةِ فزِيَادةُ كبدِ حُوتٍ وأما الشَّبَهُ في الوَلَد فإنَّ الرَّجُل إذا غَشِيَ المرأةَ فسبقها ماؤُهُ كانَ الشَّبَهُ لَهُ، وإذَا سَبَقَ ماؤُهَا كَانَ الشَّبَهُ لهَا. قالَ: أشْهَدُ أنَّكَ رسولُ اللهِ. ثم قالَ: يا رسولَ اللهِ، إنَّ اليهودَ قومٌ بُهْتٌ، إنْ علموا بإسْلامي قَبْلَ أنْ تسألَهُمْ بهتُوني عندك فجَاءتْ اليهودُ، ودخل عبْدُ اللهِ البَيْتَ، فقال رسُولُ اللهِ ﷺ: أيُّ رجُلٍ فيكُمْ عبدُالله بنُ سلامٍ؟ قالوا: أعلَمُنَا وابنُ أعْلمِنَا، وأخْبَرُنَا وابنُ أخبرِنَا. فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: أفرَأيْتم إنْ أسْلَمَ عبدُ اللهِ؟ قالُوا: اعاذَهُ اللهُ منْ ذلكَ. فَخَرَجَ عبْدُ اللهِ إليهِمْ فقال: أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ، وَأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّداً رسولُ اللهِ. فقالُوا: شَرُّنا وابنُ شَرِّنَا. ووقَعُوا فيهِ».

[الحديث ٣٣٢٩- أطرافه في :٣٩١١، ٣٩٣٨، ٤٤٨]

٣٣٣٠ ـ عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنهُ عنِ النَّبيِّ ﷺ نَحْوَهُ، يعني «لولا بَنُو إسْرائيلَ لَمْ يخْنَزِ اللَّحْمُ، ولَوْلا حواءُ لمْ تَخُنْ أنْثى زَوْجَهَا».

٣٣٣١ ـ عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ «اسْتَوْصُوا بالنِّساءِ، فَإنَّ المَرْأةَ خلقتْ منْ ضلعٍ، وإنَّ أعوجَ شيءٍ فِي الضِّلَعِ أعْلاهُ، فَإن ذَهَبْتَ تُقيمَه كسرتَهُ، وإنْ تركْتَهُ لَمْ يَزَلْ أعْوجَ، فاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ»

[الحديث ٣٣٣١- طرفاه في:٥١٨٤، ٥١٨٦]

٣٣٣٢ ـ عَنْ عبد اللهِ «حدَّثَنَا رسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ: إنَّ أحَدَكُمْ يَجْمَعَ فِي بَطْنِ أمِّهِ أرْبَعِينَ يَوْمًا، ثم يكونُ عَلَقَةً مثلَ ذلكَ ثُمَّ يكونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثم يبعث اللهُ إليهِ ملكًا بأربعِ كلمَاتٍ: فَيُكْتَب عَمَلَهُ، وَأجَلَهُ ورزْقَهُ، وشقيٌّ أمْ سعيدٌ. ثُمَّ يُنْفخُ فيه الرُّوحُ. فإنَّ الرَّجُل ليَعْمَلُ بعملِ أهْلِ النَّارِ حتَّى ما يَكُونُ بَيْنَهُ وبينَهَا إلا

ذراعٌ، فيَسْبِقُ عَلَيه الكتابُ فيعْمَلُ بعملِ أهلِ الْجَنَّةِ فيَدْخُلُ الجنةَ، وإنَّ الرَّجُلَ ليَعْمَلُ بعَمَلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ حتَّى ما يكونُ بينَهُ وبَيْنَهَا إلا ذراعٌ، فَيَسْبِقُ عليهِ الكتاب فَيَعْمَلُ بعمل أهلِ النَّار فيدْخُلُ النَّارَ».

٣٣٣٣ ـ عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي اللَّه عنهُ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّ اللَّهَ وكلَ في الرَّحِمِ ملَكًا فيقولُ: يا ربِّ نطفةٌ، يا ربِّ علقةٌ يا ربِّ مضغَةٌ. فإذا أرادَ أنْ يخلُقَها قال: يا رَبِّ أذكرٌ أمْ أنثى؟ يا ربِّ أشقيٌّ أم سعيدٌ؟ فما الرِّزْقُ؟ فَمَا الأجلُ؟ فيُكْتَبُ كذلكَ في بطنِ أمِّهِ».

٣٣٣٤ ـ عَنْ أَنَسٍ يَرْفَعُهُ «إنَّ اللهَ يقولُ لأهْونِ أهل النَّارِ عذاباً: لو أنَّ لكَ مَا فِي الأرْضِ من شيءٍ كُنْتَ تفتَدي بِهِ؟ قالَ: نعَمْ. قالَ: فقَدْ سَألْتُكَ ماهُوَ أهْوَنُ من هذا وأنْتَ في صُلْب آدَمَ: أنْ لا تُشْرِكَ بي، فَأبَيْتَ إلا الشِّرْكَ».

[الحديث ٣٣٣٤ - طرفاه في: ٦٥٣٨، ٦٥٥٧]

٣٣٣٥ ـ عَنْ عبد اللَّه رضي اللَّهُ عنهُ قالَ: قالَ رسُولُ اللَّه ﷺ لا تقْتَلُ نفْسٌ ظلمًا إلا كانَ على ابن آدم الأوَّلِ كِفلٌ من دَمِها، لأنَّهُ أوَّلُ من سنَّ القَتْلَ».

[الحديث ٣٣٣٥ - طرفاه في: ٦٨٦٧، ٧٣٢١]

ثم ذكر المصنف في الباب أحد عشر حديثا .

الحديث الأول: حديث أبي هريرة «خلق الله آدم وطوله ستون ذراعا» وقد رواه عبد الرزاق عن معمر «خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعا»، وهذه الرواية تأتي في أول الاستئذان، وقدتقدم الكلام على معنى هذه اللفظة في أثناء كتاب العتق، وهذه الرواية تؤيد قول من قال ان الضمير لآدم، والمعنى أن الله تعالى أوجده على الهيئة التي خلقه عليها لم ينتقل في النشأة أحوالاً ولا تردد في الأرحام أطوارا كذريته بل خلقه الله رجلا كاملا سويا من أول ما نفخ فيه الروح، ثم عقب ذلك بقوله «وطوله ستون ذراعا» فعاد الضمير أيضاً على آدم، وقيل معنى قوله «على صورته» أي لم يشاركه في خلقه أحد إبطالاً لقول أهل الطبائع. وخص بالذكر تنبيهًا بالأعلي على الأدنى، والله أعلم.

قوله (فكل من يدخل الجنة على صورة آدم) أي على صفته، وهذا يدل على أن صفات النقص من سواد وغيره تنتفي عند دخول الجنة.

قوله (فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن) أي أن كل قرن يكون نشأته في الطول أقصر من القرن الذي قبله، فانتهى تناقص الطول إلى هذه الأمة واستقر الأمر على ذلك.وقال ابن التين قوله «فلم يزل الخلق ينقص» أي كما يزيد الشخص شيئاً فشيئا، ولا يتبين ذلك فيما بين الساعتين ولا اليومين حتى إذا كثرت الأيام تبين، فكذلك هذا الحكم في النقص، ويشكل

على هذا ما يوجد الآن من آثار الأمم السالفة كديار ثمود فإن مساكنهم تدل على أن قاماتهم لم تكن مفرطة الطول على حسب ما يقتضيه الترتيب السابق، ولا شك أن عهدهم قديم، وأن الزمان الذي بينهم وبين آدم دون الزمان الذي بينهم وبين أول هذه الأمة، ولم يظهر لي إلى الآن ما يزيل هذا الإشكال.

قوله (لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم) يخنز أي ينتن، والخنز التغير والنتن، قيل أصله أن بني إسرائيل ادخروا لحم السلوى وكانوا نهوا عن ذلك فعوقبوا بذلك حكاه القرطبي وذكره غيره عن قتادة. وقال بعضهم: معناه لولا أن بني إسرائيل سنوا ادخار اللحم حتى أنتن لما ادخر فلم ينتن.

قوله (ولولا حواء) أي امرأة آدم قيل سميت بذلك لأنها أم كل حي.

قوله «لم تخن أنثى زوجها» فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك، فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته لآدم، ولما كانت هي أم بنات آدم اشبهنها بالولادة ونزع العرق فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول، وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش حاشا وكلا، ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة وحسنت ذلك لآدم عد ذلك خيانة له، وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها. وقريب من هذا حديث «جحد آدم فجحدت ذريته» وفي الحديث إشارة إلى تسلية الرجال فيما يقع لهم من نسائهم بما وقع من أمهن الكبرى، وأن ذلك من طبعهن فلا يفرط في لوم من وقع منها شيء من غير قصد إليه أو على سبيل الندور، وينبغي لهن أن لا يتمكن بهذا في الاسترسال في هذا النوع بل يضبطن أنفسهن ويجاهدن هواهن، والله المستعان.

قوله (استوصوا) معناه اقبلوا وصيتي فيهن واعملوا بها وارفقوا بهن وأحسنوا عشرتهن.

قوله (وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه) قيل فيه إشارة إلى أن أعوج ما في المرأة لسانها.

قوله (فإن ذهبت تقيمه كسرته) قيل هو ضرب مثل للطلاق أي ان أردت منها أن تترك اعوجاجها أفضى الأمر إلى فراقها، ويؤيده قوله في رواية الأعرج عن أبي هريرة عند مسلم «وان ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها».

قوله (إن الله تعالى[١] يقول لأهون أهل النار عذابا) يقال هو أبو طالب، وسيأتي شرحه في أواخر كتاب الرقاق[٢] إن شاء الله تعالى، ومناسبته للترجمة من قوله «وأنت في صلب آدم» فإن فيه إشارة إلى قوله تعالى {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم} الآية.

الحديث العاشر حديث عبد الله وهو ابن مسعود «لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها» وسيأتي شرحه في القصاص.

٢ ـ باب الأرواحُ جنودٌ مجنَّدةٌ

٣٣٣٦ ـ عَنْ عائِشَةَ رضي الله عنهَا قالتْ: «سَمِعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: الأرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنهَا اخْتَلَفَ».

قوله (الأرواح جنود مجندة إلخ) قال الخطابي: يحتمل أن يكون إشارة إلى معنى التشاكل في الخير والشر والصلاح والفساد، وإن الخير من الناس يحن إلى شكله والشرير نظير ذلك يميل إلى نظيره فتعارف الأرواح يقع بحسب الطباع التي جبلت عليها من خير وشر، فإذا اتفقت تعارفت، وإذا اختلفت تناكرت.

قوله «جنود مجندة» أي أجناس مجنسة أو جموع مجمعة، قال ابن الجوزي: ويستفاد من هذا الحديث أن الإنسان إذا وجد من نفسه نفرة ممن له فضيلة أو صلاح فينبغي أن يبحث عن المقتضى لذلك ليسعى في إزالته حتى يتخلص من الوصف المذموم.

٣ ـ باب قَولِ اللهِ عزَّ وَجَلَّ /هود: ٢٥/: {ولَقَدْ أرْسَلْنَا نُوحاً إلى قومِهِ}

قال ابن عبَّاسٍ: {باديَ الرأيِ}: ما ظَهرَ لنا. {أقْلعي}: أمسكي. {وفار التَّنُّورُ}: نبع الماء. وقال عكرمة: وجهُ الأرْض. وقال مجاهدٌ {الجُوديّ}: جبلٌ بالجزيرة. {دَأب} مثل حال. {إِنَّا أرْسَلْنَا نُوحاً إلى قومِهِ أنْ أنْذِرْ قومكَ من قَبْل أنْ يَأتِيَهُمْ عذابٌ أليمٌ} إلى آخر السورة [نوح ١-٢٨]: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إذْ قالَ لقومه يا قومِ إنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامي وتَذْكيري بآيَات الله -إلى قوله- منَ المسلمينَ}

٣٣٣٧ ـ قال ابنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: «قام رسُولُ الله ﷺ فِي النَّاس فأثنى على الله بما هو أهْلُهُ، ثمَّ ذَكَرَ الدَّجالَ فقال: إنِّي لأنذركموهُ، وما منْ نبيٍّ إلا أنْذَرَه قومه، لَقَدْ أنْذَرَ نُوحٌ قومَه، ولكنِّي أقولُ لكُمْ فيهِ قولاً لَمْ يَقُلْهُ نبيٌّ لقَوْمِه: تعْلَمُونَ أنهُ أعْورُ، وأنَّ اللهَ ليسَ بأعْوَرَ».

٣٣٣٨ ـ عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عَنْهُ قالَ: «قالَ رسولُ اللهِ ﷺ ألا أحدِّثُكمْ حديثًا

(١) رواية الباب واليونينية بدون "تعالى"
(٢) كتاب الرقاق باب / ٥١ ح ٦٥٥٧ - ٥ / ٧٦

عن الدَّجالَ ما حَدَّثَ بِهِ نبيٌّ قومهُ: إنَّهُ أعْوَرُ، وإنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بِمِثالِ الجَنَّة والنَّارِ، فالَّتي يقولُ إنَّها الجنَّةُ هي النَّارُ، وإنِّي أنذركُمْ كَمَا أنْذَرَ بِهِ نوحٌ قومَهُ».

٣٣٣٩ ـ عن أبِي سعيدٍ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يَجِيءُ نُوحٌ وأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ الله تعالى: هَلْ بلَّغْتَ؟ فَيَقولُ: نعمْ أيْ ربِّ. فيقولُ لأُمَّتِهِ: هَلْ بلَّغَكُمْ؟ فيقولُونَ: لا، مَا جَاءَنَا مِنْ نَبيٍّ. فَيَقُولُ لِنُوحٍ مَنْ يشْهَدُ لك؟ فَيَقُول: محمدٌ ﷺ وأُمَّتُهُ، فنَشْهدُ أنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قولُهُ جَلَّ ذكْرُه [١٤٣ البقرة]: {وكَذلكَ جعلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لتَكُونُوا شُهداءَ عَلَى النَّاسِ} والوَسَطُ العَدْلُ».

[الحديث ٣٣٣٩ – طرفاه في: ٤٤٨٧، ٧٣٤٩]

٣٣٤٠ ـ عنْ أبِي هريرةَ رضِيَ اللهُ عنهُ قالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي دَعْوةٍ، فَرُفِعَتْ إليهِ الذِّرَاعُ -وكَانَتْ تُعْجِبُهُ- فَنَهَسَ منْها نَهْسَةً وقالَ أنَا سيِّدُ النَّاس يومَ القيامةِ. هل تدرون بِمن يَجْمَعُ الله الأوَّلِينَ وَالآخرينَ فِي صعيدٍ واحدٍ، فيُبْصِرُهُمْ النَّاظرُ، ويسمعهُمُ الدَّاعي، وتدنُو منهمُ الشَّمْسُ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: ألا تَرَوْنَ إلَى مَا أنْتُمْ فيهِ، إلَى مَا بَلَغكمْ؟ ألا تَنْظُرونَ إلَى مَنْ يَشفَعُ لكُمْ إلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بعْضُ النَّاسِ: أبوكمْ آدمُ: فَيَأْتونهُ فيقولونَ يا آدم أنتَ أبو البشَر، خلقكَ اللهُ بيَدِه، وَنفخَ فيكَ من رُوحه، وأَمَرَ المَلائكَةَ فسجَدُوا لكَ، وَأَسْكَنَكَ الجَنَّةَ. ألا تشفَعُ لَنَا إلَى ربِّكَ؟ ألا تَرَى مَا نَحْنُ فِيه وَمَا بَلغنَا؟ فَيَقُولُ: ربِّي غَضبَ غضبًا لم يغضبْ قبلهُ مثلهُ، ولا يغضبْ بعدهُ مثْلَهُ، وَنَهَاني عَنِ الشَّجَرَة فعصَيْتُ. نَفْسي نفسي. اذْهَبُوا إلَى غَيْري، اذْهبوا إلَى نوحٍ فيأْتون نُوحًا فيقُولونَ: يانوحُ أنت أوَّلُ الرُّسُل إلى أهل الأرْض؛ وسَمَّاكَ اللهُ عَبْداً شَكُوراً. أمَا تَرَى إلى ما نحنُ فيه؟ ألاتَرَى إلَى مَا بَلغنَا؟ ألا تَشْفَعُ لنَا إلَى ربِّكَ؟ فَيَقُولُ: ربِّي غضبَ اليَومَ غضبًا لمْ يغْضَبْ قبلهُ مثْلَهُ، وَلا يَغْضَبُ بعدَهُ مثْلَهُ. نفْسي نفسي، ائْتُوا النَّبيَّ ﷺ. فيأتونِي، فأسْجُدُ تَحْتَ العَرْش، فيُقالُ: يَا مُحَمَّدُ ارفع رَأْسَكَ، وَاشْفَعْ تُشفعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ. قالَ مُحَمَّدُ بنُ عُبَيدٍ: لا أَحْفَظُ سَائِرهُ».

[الحديث ٣٣٤٠– طرفاه في: ٣٣٦١، ٤٧١٢]

٣٣٤١ ـ عَنْ عَبْدِ الله رضي الله عنهُ «أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قَرَأَ {فَهَلْ منْ مُدَّكر} مثْل قِرَاءَةِ العَامَّةِ».

[الحديث ٣٣٤١ – أطرافه في: ٣٣٤٥، ٣٣٧٦، ٤٨٦٩، ٤٨٧٠، ٤٨٧١، ٤٨٧٢، ٤٨٧٣، ٤٨٧٤]

قوله (باب قول الله تعالى[١]: ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه) وقد ذكر ابن جرير أن مولد نوح كان بعد وفاة آدم بمائة وستة وعشرين عاما، وأنه بعث وهو ابن ثلاثمائة وخمسين وقيل

(١) في الباب واليونينية (باب قول الله عزوجل)

غير ذلك، وأنه عاش بعد الطوفان ثلاثمائة سنة وخمسين، وقيل أن مدة عمره ألف سنة إلاخمسين عاما قبل البعثة وبعدها وبعد الغرق فالله أعلم. وصحح ابن حبان من حديث أبي أمامة «أن رجلا قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: نعم. قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون».

قوله (أنا سيد الناس يوم القيامة) خصه بالذكر لظهور ذلك له يومئذ حيث تكون الأنبياء كلهم تحت لوائه ويبعثه الله المقام المحمود كما سيأتي بيانه في الرقاق مع تتمة شرح الحديث إن شاء الله تعالى. والغرض منه هنا قوله «فيقولون يانوح أنت أول الرسل» إلى أهل الأرض، وسماك الله عبداً شكورا» فإما كونه أول الرسل فقد استشكل بأن آدم كان نبيا وبالضرورة تعلم أنه كان على شريعة من العبادة وأن أولاده أخذوا ذلك عنه فعلى هذا فهو رسول إليهم فيكون هو أول رسول، فيحتمل أن تكون الأولية في قول أهل الموقف لنوح مقيدة بقولهم إلى أهل الأرض لأنه في زمن آدم لم يكن للارض أهل أو لأن رسالة آدم إلى بنيه كانت كالتربية للأولاد، ويحتمل أن يكون المراد أنه رسول أرسل إلى بنيه وغيرهم من الأمم الذين ارسل اليهم مع تفرقهم في عدة بلاد، وآدم إنما أرسل إلى بنيه فقط وكانوا مجتمعين في بلدة واحدة.

٤ ـ باب {وإنَّ إلياس لَمِنَ المُرْسَلِينَ، إِذْ قالَ لِقومه ألا تتقون -إلى- وتركْنَا عَليهِ فِي الآخِرِينَ} [٢٣ الصافات] . قال ابنُ عبَّاسٍ: يُذكَرُ بخَيرٍ. {سَلامٌ على إِلياسين، إنَّا كَذلِكَ نَجزِي المُحْسنَين، إنَّهُ من عبادِنَا المؤمنِيْن} [١٣٠ الصافات]. يُذكرُ عنْ ابن مَسْعُودٍ وابن عبَّاسٍ أنَّ إلياسَ هُوَ إدْرِيسُ.

٥ ـ باب ذِكْر إِدرِيسَ عَليهِ السَّلامِ. وَهُوَ جَدُّ أَبِي نُوحٍ، ويقالُ جَدُّ نُوحٍ عَليهِمَا السَّلامُ وقَوْلِ الله تَعَالى [٥٧ مريم]: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًا}

٣٣٤٢ ـ عنْ أبي ذَرٍّ رضي اللهُ عنهُ يحدِّثُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: فُرِجَ عنْ سَقْف بَيتي وأنا بِمكَّةَ، فنزَلَ جبريلُ ففرَجَ صدْري، ثم غسلهُ بماءِ زمزْم، ثُمَّ جاء بطَسْتٍ من ذهَبٍ مُمْتلئٍ حكمةً وإيْماناً فأفرَغَهَا في صدْري، ثم أطبقَهُ، ثم أخذَ بيدي فعرَجَ بِي إلى السَّماءِ، فلما جاءَ إلى السَّماءِ الدُّنْيا قال جبريلُ لخازن السَّمَاءِ: افتَحْ. قالَ: مَنْ هذَا؟ قالَ هذَا جبريلُ، قالَ: معك أحدٌ؟ قالَ: معي محَمَّدٌ، قالَ: أرْسِلَ إليه؟ قالَ: نَعَمْ، فافتَحْ. فلمَّا علونَا السَّماءَ إذَا رجُلٌ عنْ يَمينه أسْودَةٌ وعنْ يَسارة أسْودَةٌ، فإذَا نَظَرَ قِبل يَمينه ضَحِكَ، وإذا نظر قبل شماله بكى، فقالَ مرحبًا بالنبيِّ الصَّالح والابن الصَّالح. قلتُ: منْ هذَا يا جبريلُ؟ قالَ هذَا آدَمُ، وهَذه الأسْودَةُ عنْ يَمينه وعنْ شماله نسَمُ بنيه، فأهْلُ اليمين منهُمْ أهلُ الجنة، والأسودَةُ التي عنْ شماله أهل النَّار، فإذَا نظرَ قِبَلَ يَمينه ضحكَ وإذَا

نظرَ قبَلَ شمَاله بكَى. ثم عرجَ بِي جبريلُ حتى أتى السَّماءَ الثَّانيةَ فقالَ لخازنهَا: افتَحْ، فقالَ لَهُ خازنهَا مثْلَ مَا قالَ الأوَّلُ، ففَتَحَ . قالَ أنسٌ فذكرَ أنهُ وجدَ في السَّماوَات إدْريس وموسى وعيسَى وإبْراهيم، ولَمْ يُثْبتْ لِي كَيْفَ منَازِلَهُمْ، غَيْرَ أنَّهُ قد ذكَرَ أنَّهُ وجَدَ آدَمَ في السَّماءِ الدُّنْيَا وإبْراهِيمَ في السَّادسَة. وقالَ أنسٌ: فلمَّا مرَّ جبْريلُ بإدْريسَ قال: مرحباً بالنَّبيِّ الصَّالحِ والأخِ الصَّالح، فقلتُ: منْ هذَا؟ قالَ: هذَا إدْريسُ. ثُمَّ مَرَرْتُ بمُوسَى فقالَ: مرحبًا بالنبيِّ الصالح والأخ الصالح، وقلتُ من هذَا؟ قالَ: هذَا موسى. ثم مرَرْت بعِيسَى فَقَالَ مَرْحباً بالنبيِّ الصَّالحِ والأخِ الصَّالحِ. قلتُ: من هذَا؟ قالَ: عيسَى. ثُمَّ مررْتُ بإبراهيمَ فقالَ: مرحبًا بالنبيِّ الصَّالحِ والابنِ الصَّالحِ، قلتُ: منْ هذَا؟ قالَ: هذَا إبْراهيمُ -قالَ وأخْبرني ابن حزمٍ أنَّ ابن عبَّاسٍ وأبَا حَيَّةَ الأنْصاريَّ كانَا يقُولانِ: قالَ النَّبيُّ ﷺ: ثم عُرِجَ بِي حتَّى ظَهَرْتُ لمُسْتَوى أسْمعُ صريفَ الأقْلام. قالَ ابنُ حزمٍ وأنسُ بن مالكٍ رضي الله عنهما قالَ النبيُّ ﷺ: ففَرَضَ اللَّهُ عليَّ خَمْسينَ صلاة فرَجَعت بذلك حتى أمُرَّ بِموسَى فقالَ: موسَى ماالَّذي فُرِضَ على أمَّتك؟ قلتُ: فَرَضَ عَلَيهِمْ خمسين صلاةً، قال: فراجِعْ ربَّكَ، فإن أمَّتَكَ لا تُطيقُ ذلكَ، فَرَجعْتُ فَرَاجعْتُ ربِّي، فوضعَ شَطْرَهَا فرجعْتُ إلى موسى فقال: رَاجعْ ربَّكَ، فَذَكَرَ مثلهُ فوضَعَ شَطْرها، فرجعتُ إلى موسَى فأخبرتُهُ فقالَ: راجعْ ربَّكَ، فإنِ أمَّتَكَ لا تطيقُ ذلكَ، فرجعْتُ فراجعتُ ربِّي فقالَ: هِيَ خَمْسٌ وخَمْسونَ، لا يُبدَّلُ القَوْلُ لدَيَّ، فَرَجَعْتُ إلى موسَى فقالَ: راجعْ ربَّكَ، فقلتُ قد استحيَيْتُ منْ ربِّي. ثُمَّ أنطلقَ حتَّى أتى السِّدْرَةَ المُنْتهى، فغَشِيَهَا ألوانٌ لا أدْرِي ماهيَ. ثُمَّ أدْخلْتُ الجنة فإذَا فيهَا جَنَابِذُ اللُّؤلؤ، وإذَا ترابها المسكُ».

٦ ـ باب قَوْلِ الله تعالى:

{وإلَى عادٍ أخاهُمْ هوداً قالَ يَا قَومِ اعْبُدُوا اللّه} /٥٠ هود/

وقوله [٢١ الأحقاف]: {إذ أنْذر قومَهُ بالأحْقاف -إلى قوله- كذلكَ نَجزي القَوْمَ المجْرِمين} فيه عن عطاءٍ وسُليمانَ عن عائشةَ عن النبيِّ ﷺ. وقولِ الله عزَّ وجلَّ [٨ - الحاقَّة]: {وَأمَّا عادٌ فأهْلكُوا بريحٍ صَرْصَرٍ} شديدةٍ {عَاتية}. قالَ ابن عُيَيْنَةَ: عتَتْ على الخُزَّانِ {سخَّرهَا عليهِمْ سبْعَ لَيَالٍ وثَمَانيةَ أيامٍ حُسُومًا} مُتَتَابعةً {فترى القَوْمَ فيهَا صَرْعَى كأنَّهُمْ أعْجازُ نخلٍ خاويةٍ} أصُولُها، {فهَلْ تَرَى لَهُمْ منْ باقية} بقيَّة.

٣٣٤٣ ـ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهُمَا عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «نُصِرْتُ بالصَّبَا، وأهْلِكَتْ عَادٌ بالدَّبُورِ».

٣٣٤٤ ـ عن أبي سعيدٍ رضي الله عنهُ قالَ: «بَعثَ عَليٌّ رضي الله عنهُ إلى النبيِّ ﷺ بِذُهيبةٍ، فقَسمها بينَ الأرْبَعَة، الأقْرع بن حابِسٍ الحَنْظليِّ ثم المجاشعِيِّ، وعُيَيْنَةَ بن بدرٍ

الفَزارِيُّ، وزَيْدٍ الطَّائِيُّ ثُمَّ أَحَدِ بَنِي نبْهانَ، وعلقَمةُ بن عُلاثةَ العامرِيُّ أحدَ بَنِي كلاب. فغضبَتْ قُرَيشٌ والأنصَارُ قالُوا: يُعْطى صنَاديد أهْل نَجْدٍ ويَدَعُنَا. قالَ: إنَّما أتألَّفُهُمْ. فأقْبَلَ رجلٌ غائرُ العينَيْن مُشْرِفُ الوجْنتَيْنِ نَاتِئُ الجبين كثُّ اللِّحْية محلوقٌ فقالَ: اتَّقِ اللّه يا محمَّدُ، فقال: من يطع اللّه إذا عصَيتُ أيأْمَنُنِي اللّه على أهل الأرض ولا تأمنُوني؟ فسأله رجلٌ قتلهُ -أحسبُهُ خالدَ بنَ الوَليد- فمنعَهُ، فلمَّا ولَّى قالَ: إنَّ منْ ضِئْضِئِ هذا -أو في عقبِ هذا- قوم يقرءونَ القُرآنَ لا يُجَاوزُ حنَاجرهُمْ، يَمرقُونَ من الدِّين مُرُوقَ السَّهْمِ منَ الرَّميَّة، يقْتُلونَ أهلَ الإسلام ويَدعون أهلَ الأوثانِ، لئنْ أنَا أدْرَكْتهم لأقتُلَنَّهم قَتْلَ عادٍ».

[الحديث ٣٣٤٤ - أطرافه في: ٣٦١٠، ٤٣٥١، ٤٦٦٧، ٥٠٥٨، ٦١٦٣، ٦٩٣١، ٦٩٣٣، ٧٤٣٢، ٧٥٦٢]

٣٣٤٥ ـ عن عبدِ اللّه قالَ: «سمعتُ النبيَّ ﷺ يَقْرَأ {فهَلْ منْ مُدَّكرٍ}».

قوله (باب قول اللّه تعالى: وإلى عاد أخاهم هودا) وسماه أخا لهم لكونه من قبيلتهم لا من جهة أخوة الدين.

قوله {إذ أنذر قومه بالأحقاف -إلى قوله- كذلك نجزي القوم المجرمين} الأحقاف جمع حقف وهو المعوج من الرمل، والمراد به هنا مساكن عاد.

ثانيها حديث أبي سعيد الخدري في ذكر الخوارج.

قوله (وقال ابن كثير عن سفيان) سيأتي الكلام عليه مستوفى في المغازي إن شاء اللّه تعالى. والغرض منه هنا قوله «لئن أنا أدركتهم لأقتلنّهم قتل عاد» أي قتلا لا يبقي منهم أحدا، إشارة إلى قوله تعالى {فهل ترى لهم من باقية} ولم يرد أنه يقتلهم بالآلة التي قتلت بها عاد بعينها.

١٧ *[1] ـ باب قَوْلِ اللّه تعالى [٧٣ الأعراف]: {وإلى ثَمُودَ أخاهُمْ صالحًا}

وقوله/الحجر:٨٠/ {كَذَّبَ أصْحَابُ الحِجْرِ}: الحجر موضع ثمود. وأما {حرث حجر}: حرام، وكلُّ ممنوع فهو حجر، ومنهُ «حجر محجور». والحِجر كلُّ بِنَاءٍ بَنَيْتَه، وما حجرت عليه من الأرض فهو حجر، ومنه سمي حطيم البيت حجراً، كأنَّهُ مشتقٌّ من محطُوم، مثلُ قتيل من مقتول، ويقالُ للأنثَى من الخيلِ حجْر، ويقالُ للعَقْلِ: حجر وحِجىً وأمَّا حجرُ اليمامة فهُوَ المنزل.

---

(١) قدم الحافظ ابن حجر الباب (١٧) من كتاب الأنبياء فوضعه هنا (قبل الباب السابع) ليكون الكلام على نبي اللّه صالح عليه السلام وقومه من ثمود بعد الكلام على نبي اللّه شعيب وقومه من عاد، فاقتضى ذلك أن تكون الأحاديث المرقمة في صحيح البخاري من رقم ٣٣٧٧ الى ٣٣٨١ متقدمة عن ترتيبها المتسلسل. فنحن في ترتيب طبع الشرح راعينا ترتيب الشارح، وفي ترتيب ترقيم أحاديث صحيح البخاري راعينا ترتيب هذه الأحاديث في النسخ المتداولة من صحيح البخاري.

٣٣٧٧ ـ عن عبدِ اللَّه بن زَمْعةَ قال:«سمعت النبيَّ ﷺ -وذكَرَ الَّذي عقرَ النَّاقةَ- قالَ: انْتَدَبَ لَها رجلٌ ذو عزٍّ ومَنَعَةٍ في قومِه كأبي زَمْعَةَ».

[الحديث ٣٣٧٧ - أطرافه في : ٤٩٤٢، ٥٢٠٤، ٦٠٤٢]

٣٣٧٨ ـ عن ابن عُمَرَ رضيَ اللَّه عنهمَا «أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ لمَّا نزلَ الحِجْرَ في غزوة تبوكَ أمرهُمْ أن لا يَشْرَبُوا من بئرِهَا ولا يَسْتَقُوا منها، فقالوا: قدْ عَجَنَّا منها واسْتَقَيْنَا، فأمرهُمْ أن يطرَحُوا ذلك العجينَ ويُهْرِيقوا ذلك الماءَ». عن أبي الشُّمُوس« أنَّ النبيَّ ﷺ أمَرَ بالْقاءِ الطعام» وقال أبو ذرٍّ عنِ النبيِّ ﷺ:«مَنِ اعتَجَنَ بِمائِهِ».

[الحديث ٣٣٧٨ - طرفه في: ٣٣٧٩]

٣٣٧٩ ـ عن عبدِ اللَّه بن عُمَرَ رضيَ اللَّه عنهما «أن النَّاسَ نزلُوا معَ رسولِ اللَّه ﷺ أرْضَ ثَمُود، الحجرَ، واستَقَوا من بئرها واعْتَجَنُوا به، فأمَرَهُمْ رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يُهْرِيقُوا ما استقَوْا من بئارِهَا وأن يعْلفُوا الإبلَ العَجينَ، وأمَرَهُمْ أن يسْتَقُوا منَ البِئرِ الَّتِي كانَ تَرِدُها النَّاقةُ».

٣٣٨٠ ـ عنْ سالمِ بن عبدِ اللَّه عنْ أبيهِ رضي اللَّه عنهُ «أن النبيَّ ﷺ لمَّا مرَّ بَالحجرِ قالَ: لا تدْخُلُوا مساكنَ الَّذينَ ظَلمُوا، إلا أنْ تكونُوا باكينَ أن يُصيبَكمْ مَا أصابَهُم. ثم تَقَنَّعَ بردائِه وَهُوَ على الرَّحْلِ».

٣٣٨١ ـ عن ابن عُمَرَ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تدخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذين ظَلَمُوا أنْفسَهُمْ -إلا أنْ تكونوا باكينَ- أنْ يُصيبَكُمْ مثلَ مَا أصَابَهُمْ».

قوله (في آخر حديث نافع (وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كان تردها الناقة) وسئل شيخنا الإمام البلقيني: من أين علمت تلك البئر؟ فقال: بالتواتر، إذ لا يشترط فيه الإسلام انتهى. والذي يظهر أن النبي ﷺ علمها بالوحي، ويحمل كلام الشيخ على من سيجيء بعد ذلك. وفي الحديث كراهة الاستقاء من بيار ثمود، ويلتحق بها نظائرها من الآبار والعيون التي كانت لمن هلك بتعذيب الله تعالى على كفره. واختلف في الكراهة المذكورة هل هي للتنزيه أو للتحريم؟ وعلى التحريم هل يمتنع صحة التطهر من ذلك الماء أم لا؟ وقد تقدم كثير من مباحث هذا الحديث في «باب الصلاة[١] في مواضع الخسف والعذاب» من أوائل الصلاة.

قوله (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا) زاد في رواية الكشميهني «أنفسهم» وهذا يتناول مساكن ثمود وغيرهم ممن هو كصفتهم وإن كان السبب ورد فيهم.

---

(١) كتاب الصلاة باب / ٥٣ ح ٤٣٣ - ١ / ٢٨٤

٧ ـ باب قصة يأجوجَ ومأجوجَ

وقولِ الله تعالى [٩٤ الكهف]: {قالُوا ياذَا القَرْنَينِ إنَّ يَأجوجَ ومأجوجَ مُفْسدونَ فِي الأرْضِ} وقولِ الله تعالى [٨٣ الكهف]: {وَيَسْأَلونَكَ عن ذي القرنين -إلى قَوْلِه- سبَبًا} سبباً طريقًا. إلى قوله {آتوني زُبَرَ الحديد} واحدها زُبرة وهي القطع {حتى إذا ساوَى بينَ الصدَفَين} يقال عن ابن عبَّاسٍ الجبلين. والسدَّين: الجبلين. خرجاً أجراً. {قال انفُخوا حتَّى إذَا جعله ناراً قالَ آتوني أُفْرغ عليه قِطرا} أصبُبْ عليه رَصاصا، ويقال الحديد، ويقال الصُفْر، وقال ابن عباس: النُحاسُ {فما اسْطاعوا أن يَظهروه} يعلوه، اسطاع: استفعل من طُعْتُ له، فلذلك فُتح أسطاعَ يسطيعُ، وقال بعضهم استطاعَ يستطيعُ. {وَمَا استطاعُوا لهُ نَقبا. قال هذا رحمةٌ من ربي، فإذَا جاء وعدُ ربي جعلَهُ دكاءَ} ألزقَهُ بالأرض. وناقة دكاءُ: لاسنامَ لهَا. وَالدَكْدَاكُ من الأرض مثلهُ حتى صلُبَ وتلبَّدَ. {وكان وعدُ ربي حقًا. وتركنا بعضهم يومئذٍ يَمُوجُ في بعضٍ، حتى إذا فُتحَت يَأجوجُ ومأجوجُ وهم من كلِّ حدبٍ ينسِلون} قال قتادةُ: حدبٌ أكمة. «قالَ رجلٌ للنبيِّ ﷺ: رَأيتُ السدَّ مثل البُرد المحبَّر. قال: قد رأيتَه».

٣٣٤٦ ـ عنْ زينَب بنْت جَحْشٍ رضي الله عنها «أنَّ النبيَّ ﷺ دخل عليها فَزِعًا يقول: لا إله إلا الله، ويلٌ للعرَب من شرٍّ قد اقتَرب، فُتح اليومَ من ردْمِ يأجوجَ ومأجوج مثلُ هذه -وحَلَّقَ بإصبَعهِ الإبهام والَّتي تَليها- فقالت زينبُ بنت جَحشٍ: فقلتُ يا رسولَ الله أنَهْلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذَا كَثُرَ الْخَبَث».

[الحديث ٣٣٤٦ - أطرافه في: ٣٥٩٨، ٧٠٥٩، ٧١٣٥]

٣٣٤٧ ـ عنْ أبِي هُريرَة رضي اللهُ عنهُ عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «فَتح اللهُ من ردْمِ يأجوجَ ومأجوجَ مثلَ هذه، وعقد بيدهِ تِسعين».

[الحديث ٣٣٤٧ - طرفه في: ٧١٣٦]

٣٣٤٨ ـ عَنْ أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي اللهُ عنهُ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «يقولُ اللهُ تعالى: يا آدمُ. فيقول: لبَّيكَ وسَعَدَيكَ، وَالخيرُ في يدَيك. فيقول أخْرِجْ بعثَ النَّار. قالَ: ومَا بعثُ النَّار؟ قال: من كلِّ ألفٍ تسعمائةٍ وتسعةٌ وتعسين. فعندَهُ يشيبُ الصغير، «وتَضَعُ كلُّ ذاتِ حمل حَملها، وترَى النَّاسَ سُكارَى وما هم بسُكارَى، ولكنَّ عذابَ الله شديد». قالوا: يا رسولَ اللهِ، وأيُّنا ذلكَ الواحد؟ قال: أبشروا فإنَّ منكم رجلاً ومن يأجوجَ ومأجوجَ ألف. ثم قال: والذي نفسي بيدِهِ إني أرجو أن تكونوا ربُعَ أهل الجنة. فكبَّرنا. فقال: أرجو أن تكونوا ثُلُثَ أهل الجنة. فكبَّرنا. فقال: أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة. فكبَّرنا. فقالَ: ما أنتُمْ في النَّاس إلا كالشَّعرةِ السوداء في جلد ثورٍ أبيضَ، أو كشعرةٍ بيضاء في جلدِ ثورٍ أسودَ»

[الحديث ٣٣٤٨ - أطرافه في: ٤٧٤١، ٦٥٣٠، ٧٤٨٣]

قوله (باب قول الله تعالى {ويسألونك عن ذي القرنين -إلى قوله- سببا) وفي إيراد المصنف ترجمة ذي القرنين قبل إبراهيم إشارة إلى توهين قول من زعم أنه الإسكندر اليوناني، لأن الإسكندر كان قريبا من زمن عيسى عليه السلام، وبين زمن ابراهيم وعيسى أكثر من ألفي سنة، والذي يظهر أن الإسكندر المتأخر لقب بذي القرنين تشبيها بالمتقدم لسعة ملكه وغلبته على البلاد الكثيرة، أو لأنه لما غلب على الفرس وقتل ملكهم انتظم له ملك المملكتين الواسعتين الروم والفرس فلقب ذا القرنين لذلك، والحق أن الذي قص الله نبأه في القرآن هو المتقدم، وقد اختلف في ذي القرنين فقيل كان نبيا كما تقدم، وهذا مروي أيضاً عن عبدالله بن عمرو بن العاص وعليه ظاهر القرآن، ثم ذكر المصنف في الباب ثلاثة أحاديث موصولة: أحدها: حديث زينب بنت جحش في ذكر ردم يأجوج ومأجوج، وسيأتي شرحه مستوفى في آخر كتاب الفتن[١]. ثانيها: حديث أبي هريرة نحوه باختصار ويأتي هناك أيضا. ثالثها: حديث أبي سعيد في بعث النار، وسيأتي شرحه في أواخر الرقاق[٢]. والغرض منه هنا ذكر يأجوج ومأجوج والإشارة إلى كثرتهم وأن هذه الأمة بالنسبة إليهم نحو عشر عشر العشر وأنهم من ذرية آدم ردا على من قال خلاف ذلك.

٨ ـ باب قول الله تعالى /١٦٥ النساء/: {واتَّخَذَ اللّهُ إبراهيمَ خليلاً}

وقوله [١٢٠ النحل]: {إنَّ إبراهيمَ كانَ أمةً قانتا لله}، وقولهِ [١١٤ التوبة]: {إن إبراهيمَ لأوَّاه حليم}. وقال أبو مَيسرَةَ: الرحيمُ بلسانِ الحبشة.

٣٣٤٩ ـ عن ابن عبَّاس رضي اللّهُ عنهما عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «إنكم محشورونَ حُفاةً عُراةً غرلاً. ثم قرأ {كما بدأْنا أولَ خلقٍ نُعيدهُ، وعداً علينا إنا كنَّا فاعلين}. وأوَّلُ مَن يُكسَى يومَ القيامةِ إبراهيمُ. وإنَّ أناساً من أصحابي يؤخَذُ بهم ذات الشمالِ، فأقولُ: أصحابي، أصحابي. فيقال: إنهم لم يَزالوا مرتدِّين على أعقابهم منذُ فارقتَهم فأقول كما قال العبدُ الصالح {وكنتُ عليهم شهيداً مادمتُ فيهم -إلى قوله- الحكيم} [المائدة ١١٧] الآية.

[الحديث ٣٣٤٩ - أطرافه في: ٣٤٤٧، ٤٦٢٥، ٤٦٢٦، ٤٧٤٠، ٦٥٢٤، ٦٥٢٥، ٦٥٢٦]

٣٣٥٠ ـ عن أبي هريرة رضي اللّهُ عنهُ عنِ النّبيِّ ﷺ قالَ: «يَلْقَى إبراهيمُ أباهُ آزرَ يومَ القيامةِ وعلى وجهِ آزَرَ قَترَةٌ وغَبَرةٌ، فيقول لهُ إبراهيمُ: ألم أَقُل لكَ لا تَعصِني؟ فيقولُ أبوهُ: فاليومَ لا أعصيكَ. فيقولُ إبراهيمُ: يا رب إنكَ وعَدتَني أن لا تُخزيَني يومَ يُبْعثون، فأيُّ خِزْيٍ أخزى من أبي الأبعَد؟ فيقولُ اللّه تعالى: إني حرَّمتُ الجنة على الكافرين. ثمَّ يقالُ: يا إبراهيمُ ما تحتَ رجليكَ، فيَنظرُ فإذا هو بذيخٍ مُلْتَطِخٍ، فيُؤخَذُ

(١) كتاب الفتن باب / ٢٨ ح ٧١٣٥ - ٥ / ٤١٠
(٢) كتاب الرقاق باب / ٤٦ ح ٦٥٣٠ - ٥ / ٦٦

بقوائمه فيُلقى في النار».

[الحديث ٣٣٥٠ - طرفاه في: ٤٧٦٨، ٤٧٦٩]

٣٣٥١ - عن ابن عبّاسٍ رضي اللهُ عنهُمَا قال: «دَخَلَ النبيُّ ﷺ البيتَ فوَجَدَ فيه صورةَ إبراهيمَ وصورةَ مريم فقال ﷺ: أمّا هم فقد سمِعوا أنَّ الملائكةَ لا تدخُلُ بَيْتًا فيهِ صورة، هذا إبراهيمُ مصوَّرٌ، فماله يستَقسم».

٣٣٥٢ - عن ابن عبّاسٍ رضي اللهُ عَنهُمَا «أنَّ النّبِيَّ ﷺ لما رَأى الصُّوَرَ فِي البيت لم يَدخُلْ حتى أمَرَ بهَا فمُحيَت. ورأى إبراهيمَ وإسماعيلَ عليهما السلامُ بأيديهما الأزْلامُ فقالَ: قاتَلهمُ الله، وَالله إن استَقْسَمَا بالأزلامِ قطُّ».

٣٣٥٣ - عن أبي هريرة رضي اللهُ عنْهُ «قيل يارسولَ الله منْ أكرمُ النّاسِ؟ قالَ: أتْقاهُمْ . فقالوا: ليسَ عنْ هذا نسألُكَ، قالَ: فَيُوسف نبيُّ الله ابن نبيِّ الله ابن خليل اللهِ. قالُوا: ليْس عنْ هذا نسألُكَ. قالَ: فعَن معادنِ العَرَبِ تَسألُونَ؟ خيَارُهُمْ فِي الجاهليَّةِ خيَارُهُمْ في الإسلامِ إذا فَقِهُوا».

[الحديث ٣٣٥٣ - أطرافه في: ٣٣٧٤، ٣٣٨٣، ٣٤٩٠، ٤٦٨٩]

٣٣٥٤ - عَنْ سمُرَة قالَ: قال رَسولُ الله ﷺ: «أتَانِي اللّيلةَ آتيانِ، فأتَيْنَا عَلَى رَجُل طويلٍ لا أكَادُ أرَى رَأسَهُ طُولاً، وإنّهُ إبراهيمُ ﷺ».

٣٣٥٥ - عنْ مجاهدٍ أنهُ سمعَ ابنَ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنهمَا -وذكَرُوا لَهُ الدَّجّال بين عينَيهِ مكْتُوبٌ كافرٌ أوْ ك ف ر- قالَ: لمْ أسمَعْهُ، ولكنّهُ قالَ: أمّا إبْراهيمُ فانْظروا إلَى صاحبِكمْ، وأمّا موسَى فجَعْدٌ آدمُ على جَمَلٍ أحْمَرَ مخطومٍ بخُلْبة، كأنّي أنْظُرُ إليه انحَدَرَ فِي الوَادي».

٣٣٥٦ - عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «اخْتَتَنَ إبراهيمُ عليه السّلامُ وهُوَ ابنُ ثمانينَ سنةً بالقَدُّومِ» وقال أبو الزّناد «بالقَدُومِ» مخففة.

[الحديث ٣٣٥٦ - طرفه في: ٦٢٩٨]

٣٣٥٧ - عنْ أبي هريرةَ رضِيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لَمْ يكذب إبراهيمُ عليه السّلامُ إلا ثلاثَ كذِباتٍ».

٣٣٥٨ - عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قالَ: «لَمْ يَكذِب إبراهيمُ عليه السّلامُ إلا ثلاثَ كذِباتٍ: ثنتيْنِ منهنَّ في ذاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ: قوله {إني سَقيم} وقوله {بل فَعلهُ كبيرُهم هذا} وقال: بَينا هو ذات يومٍ وسارةُ إذ أتى على جَبّارٍ منَ الجبابرةِ، فقيلَ لهُ: إن هاهنا رجلاً معهُ امرأة من أحسَنِ الناسِ، فأرسلَ إليهِ فسألهُ عنْهَا فقالَ: من هذه؟ قالَ: أختي. فأتى سارةَ قال: يا سارةُ ليس على وَجهِ الأرضِ مؤمنٌ غيري وغيركِ، وإن هذا سألني عنكِ

فأخبرتهُ أنَّكِ أختي، فلا تكذِّبيني. فأرسلَ إليهَا، فلمَّا دخلَتْ عليهِ ذَهبَ يتَناولُها بيدِه فأُخِذ. فقال: ادْعِي اللّهَ لي ولا أضرُّكِ، فدَعَتِ اللّه فأُطلِقَ. ثُمَّ تنَاولها الثانية فأُخِذَ مِثلَها أو أشَدَّ، فقال: ادعي اللّهَ لي ولا أضُرُّكِ، فدعَت فأُطلِقَ. فدَعَا بعضَ حجَبَتِه فقال: إنكم لم تأتوني بإنسانٍ، إنما أتيتُموني بشيطان، فأخدَمَها هاجَرَ. فأتَتْهُ وَهُوَ قائمٌ يُصلي، فأومأ بيدِه: مَهْيَمْ؟ قالتْ: ردَّ اللّه كيدَ الكافرِ -أوِ الفاجرِ- فِي نَحرِه، وأخدَمَ هاجر. قال أبو هريرة: تلكَ أمُّكم يا بني ماءِ السَّماءِ».

٣٣٥٩ - عَنْ أمِّ شُرَيكٍ رضيَ اللّهُ عَنْهَا «أنَّ رسُولَ اللّه ﷺ أمَرَ بقتلِ الوَزَغ وقال: كان ينفُخُ على إبراهيمَ عليهِ السَّلام».

٣٣٦٠ - عنْ عبدِ اللّه رضي اللّه عنْهُ قالَ: «لمَّا نَزَلَتْ {الَّذينَ آمَنُوا ولَمْ يَلبِسوا إِيْمانَهُمْ بظلم} قلنا: يا رسولَ اللّه، أينا لا يَظلِمُ نفسَه؟ قال: ليس كما تقولون، {لم يلبَسُوا إِيْمانَهُمْ بظلم}: بشرِك. أوَ لم تَسمَعُوا إلى قولِ لقمانَ لابنهِ {يا بنيَّ لا تُشْرِكْ باللّه؛ إن الشرِكَ لظلمٌ عظيم} ».

قوله (باب قولِ اللّه تعالى: واتخذ اللّه إبراهيم خليلا، وقوله: إن إبراهيم كان أمة قانتا لله، وقوله إن إبراهيم لأواه حليم) وكأنه أشار بهذه الآيات إلى ثناء اللّه تعالى على إبراهيم عليه السلام، وإبراهيم بالسريانية معناه أب راحم، والخليل من الخلة بالضم وهي الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله، وهذا صحيح بالنسبة إلى ما في قلب إبراهيم من حب اللّه تعالى.وأما إطلاقه في حق اللّه تعالى فعلى سبيل المقابلة، وقيل الخلة أصلها الاستصفاء وسمى بذلك لأنه يوالي ويعادي في اللّه تعالى، وخلة اللّه له نصره وجعله إماما[١]

وسيأتي شرح حديث الباب مستوفى في أواخر الرقاق إن شاء اللّه تعالى.

ثانيها: حديث أبي هريرة «يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة» وسيأتي شرحه في تفسير الشعراء إن شاء اللّه تعالى.

خامسها: حديث سمرة في المنام الطويل الذي تقدم مع بعض شرحه في آخر الجنائز، ذكر منه هنا طرفًا وهو قوله «فأتينا على رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولا وإنه إبراهيم عليه السلام. وسيأتي شرحه مستوفى إن شاء اللّه تعالى في كتاب التعبير[٢].

سادسها: حديث ابن عباس وقد سبق في الحج .

سابعها: حديث أبي هريرة «اختتن إبراهيم وهو ابن ثمانين سنة بالقَدُوم»

---

(١) هذا خلاف قول أهل السنة والجماعة فإنهم يثبتون لله سبحانه صفة الخلة وهي فوق المحبة على ما يليق بجلاله وعظمته.

(٢) كتاب التعبير باب / ٤٨ ح ٧٠٤٧ - ٥ / ٣٥٨

واختلف في المراد به فقيل: هو اسم مكان، وقيل اسم آلة النجار.

والراجح أن المراد في الحديث الآلة، فقد روى أبو يعلى من طريق علي بن رباح قال «أمر إبراهيم بالختان، فاختتن بقدوم فاشتد عليه، فأوحى الله إليه أن عجلت قبل أن نأمرك بآلته، فقال: يارب كرهت أن أؤ خر أمرك».

قوله (لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة[١] السلام إلا ثلاث كذبات)

قوله {إني سقيم} يحتمل أن يكون أراد إني سقيم أي سأسقم واسم الفاعل يستعمل بمعنى المستقبل كثيرا، ويحتمل أنه أراد أني سقيم بما قدر عليَّ من الموت أو سقيم الحجة على الخروج معكم، وحكى النووي عن بعضهم أنه كان تأخذه الحمي في ذلك الوقت، هو بعيد لأنه لو كان كذلك لم يكن كذبا لا تصريحا ولا تعريضا، وقوله {بل فعله كبيرهم} قال القرطبي هذا قاله تمهيدا للاستدلال على أن الأصنام ليست بآلهة وقطعا لقومه في قولهم أنها تضر وتنفع، قال ابن عقيل: دلالة العقل تصرف ظاهر إطلاق الكذب على إبراهيم، وذلك أن العقل قطع بأن الرسول ينبغي أن يكون موثوقا به ليعلم صدق ما جاء به عن الله،ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه، فكيف مع وجود الكذب منه، وإنما أطلق عليه ذلك ولكونه بصورة الكذب عند السامع، وعلى تقديره فلم يصدر ذلك من إبراهيم عليه السلام -يعني إطلاق الكذب على ذلك- إلا في حال شدة الخوف لعلو مقامه، وإلا فالكذب المحض و في مثل تلك المقامات يجوز،وقد يجب لتحمل أخف الضررين دفعا لأعظمهما، وأما تسميته إياها كذبات فلا يريد أنها تذم فإن الكذب وإن كان قبيحا مخلا لكنه قد يحسن في مواضع وهذا منها .

قوله (ثنتين منهن في ذات الله) خصهما بذلك لأن قصة سارة وإن كانت أيضا في ذات الله لكن تضمنت حظا لنفسه ونفعا له بخلاف الثنتين الأخيرتين فإنهما في ذات الله محضا.

قوله (فأرسل إليه فسأله عنها فقال[٢] من هذه؟ قال أختي، فأتى سارة فقال: يا سارة ليس على وجه الأرض الخ) هذا ظاهر في أنه سأله عنها أولاً ثم أعلمها بذلك لئلا تكذبه عنده، وفي رواية هشام بن حسان أنه قال لها:«إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك فإن سألك فأخبريه أنك أختي، وإنك أختي في الإسلام، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فأتاه فقال: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي أن تكون إلا لك، فأرسل إليها» الحديث فيمكن أن يجمع بينهما بأن إبراهيم أحس بأن الملك سيطلبها منه فأوصاها بما أوصاها، فلما وقع ما حسبه أعاد عليها الوصية. واختلف في السبب الذي حمل إبراهيم على هذه الوصية مع أن ذلك الظالم يريد اغتصابها على نفسها أختا كانت أو زوجة، فقيل: كان من دين ذلك الملك أن لا يتعرض إلا لذوات الأزواج، كذا قيل، ويحتاج إلى تتمة وهو إن

(١) رواية الباب واليونينية بدون "الصلاة"

(٢) رواية الباب واليونينية "قال".

إبراهيم أراد دفع أعظم الضررين بارتكاب أخفهما، وذلك أن اغتصاب الملك إياها واقع لا محالة، لكن إن علم أن لها زوجا في الحياة حملته الغيرة على قتله وإعدامه أو حبسه وإضراره، بخلاف ما إذا علم أن لها أخا فإن الغيرة حينئذ تكون من قبل الأخ خاصة لا من قبل الملك فلا يبالي به. وقيل أراد إن علم أنك امرأتي ألزمني بالطلاق، والتقرير الذي قررته جاء صريحا عن وهب بن منبه فيما أخرجه عبد بن حميد في تفسيره من طريقه، وذكر المنذري في «حاشية السنن» عن بعض أهل الكتاب أنه كان من رأى الجبار المذكور أن من كانت متزوجة لا يقربها حتى يقتل زوجها فلذلك قال إبراهيم هي أختي، لأنه إن كان عادلا خطبها منه ثم يرجو مدافعته عنها، وإن كان ظالما خلص من القتل، وليس هذا ببعيد مما قررته أولا، وهذا أخذ من كلام ابن الجوزي في «مشكل الصحيحين» فإنه نقله عن بعض علماء أهل الكتاب أنه سأله عن ذلك فأجاب به.

قوله (فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ) وفي رواية مسلم «فقام إبراهيم إلى الصلاة، فلما دخلت عليه أي على الملك لم يتمالك أن بسط يده إليها فقبضت يده قبضة شديدة.

قوله (فقال ادعي الله لي ولا أضرك) في رواية مسلم «فقال لها ادعي الله أن يطلق يدي ففعلت».

قوله (فأخذ مثلها أو أشد) في رواية مسلم «فقبضت أشد من القبضة الأولى»، والمراد بالشيطان المتمرد من الجن، وكانوا قبل الإسلام يعظمون أمر الجن جدا ويرون كل ما وقع من الخوارق من فعلهم وتصرفهم.

قوله (فأخدمها هاجر[١]) أي وهبها لها لتخدمها لأنه أعظمها أن تخدم نفسها. وفي رواية مسلم «فأخرجها من أرضي وأعطها آجر».

قوله (قال أبو هريرة: تلك أمكم يا بني ماء السماء) كأنه خاطب بذلك العرب لكثرة ملازمتهم للفلوات التي بهامواقع القطرة لأجل رعي دوابهم، وقيل أراد بماء السماء زمزم لأن الله انبعها لهاجر فعاش ولدها بها فصاروا كأنهم أولادها، وفي الحديث مشروعية أخوة الإسلام وإباحة المعاريض، والرخصة في الانقياد للظالم والغاصب، وقبول صلة الملك الظالم، وقبول هدية المشرك، وإجابة الدعاء بإخلاص النية، وكفاية الرب لمن أخلص في الدعاء بعمله

(١) في المتن واليونينية "وأخدم هَاجَرَ"

الصالح. وسيأتي نظيره في قصة أصحاب الغار[١] وفيه ابتلاء الصالحين لرفع درجاتهم، وفيه أن من نابه أمر مهم من الكرب ينبغي له أن يفزع إلى الصلاة. وفيه أن الوضوء كان مشروعا للأمم قبلنا وليس مختصا بهذه الأمة ولا بالأنبياء، لثبوت ذلك عن سارة، والجمهور على أنها ليست بنبية.

٩ ـ باب يَزِفُّون: النَّسَلانُ في الْمَشْيِ

٣٣٦١ ـ عنْ أبي هُريرَةَ رضِيَ اللَّهُ عنْهُ قال: «أُتِيَ النبيُّ ﷺ يوماً بلحم، فقال: إنَّ اللهَ يَجْمَعُ يومَ الْقِيامَةِ الأوَّلِينَ والآخرينَ في صعيدٍ واحدٍ، فيُسمعهُمُ الدَّاعي ويُنْفذُهمُ البصرُ، وتدنُو الشَّمْس منهُمْ -فذكرَ حديثَ الشَّفاعَة- فيأتونَ إبراهيمَ فيقولُونَ: أنْت نبيُّ اللهِ وخليلُه منَ الأرض، اشْفعْ لنَا إلى ربِّكَ، فيقولُ -فذكَرَ كَذباته-: نفْسي نفْسِي، اذْهبُوا إلى موسَى». تابعهُ أنسٌ عن النَّبيِّ ﷺ.

٣٣٦٢ ـ عنْ ابن عبَّاسٍ رضيَ الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قالَ: «يَرْحَمُ اللهُ أمَّ إسْمَاعيلَ، لولا أنَّها عَجِلت لكانَ زَمْزَمُ عيناً معيناً».

٣٣٦٣ ـ قال الأنصاريُّ حدثنا ابن جريج قال: أما كثير بن كثير فحدثني قال «أني وعثمانَ بن أبي سليمان جلوسٌ مع سعيد ابن جريج فقال: ما هكذا حدثني ابن عبَّاسٍ، ولكنَّهُ قالَ: أقْبَلَ إبْراهيمُ بإسماعيلَ وأمِّه عليهِمُ السَّلامُ -وهيَ تُرْضعُهُ- معهَا شَنَّةٌ لمْ يرفَعهُ، ثُمَّ جاءَ بهَا إبراهيمُ وبابنها إسْماعِيلَ».

٣٣٦٤ ـ عن سعيدِ بن جُبَيرٍ قال ابنُ عبَّاسٍ: «أوَّلُ ما اتَّخذَ النِّساءُ المِنطقَ من قبل أمِّ إسماعيلَ اتَّخذتْ مِنطقاً لتُعَفِّيَ أثَرَهَا على سارةَ، ثمَّ جاءَ بها إبراهيمُ وبابْنها إسْماعيلَ -وهيَ تُرْضعهُ- حتى وَضَعَهَا عندَ البيت عنْدَ دوْحةٍ فوقَ زمْزم في أعلى المسجد، وليسَ بمكَّةَ يومئذٍ أحَدٌ، وليسَ بها ماءٌ فوضعهُما هنالكَ، ووضَعَ عندهُمَا جرَاباً فيه تَمْرٌ وسقاءً فيه ماءٌ، ثمَّ قفَّى إبراهيمُ منطلقًا، فتبعَتْهُ أمُّ إسماعيلَ فقالَتْ: يا إبراهيمُ أيْنَ تَذْهَبُ وتتْرُكنَا بهذَا الوادي الَّذي ليْسَ فيهِ إنْسٌ ولا شيءٌ، فقالَتْ لَهُ ذلكَ مرَاراً وجعلَ لا يَلْتفتُ إليْهَا. فقالَتْ لهُ: آللهُ أمركَ بهذا؟ قالَ: نعم. قالت: إذنْ لا يضيِّعُنَا. ثمَّ رجعَتْ. فانْطَلَقَ إبراهيمُ حتى إذَا كانَ عندَ الثَّنِيَّة حيثُ لا يَرَوْنَهُ استْقبَلَ بوجْهه البَيْتَ ثمَّ دعَا بهؤلاءِ الكلمَات ورَفعَ يديه فقالَ {ربَّنَا إنِّي أسْكَنْتُ من ذُرِّيَّتي بوادٍ غيرِ ذي زرعٍ -حتَّى بلغَ- يشكرُونَ} وجعلَتْ أمُّ إسْماعيلَ تُرضعُ إسماعيلَ وتَشْرَبُ من ذلكَ الماءِ، حتَّى إذَا نَفِدَ ما في السِّقَاءِ عَطِشَت وعَطِشَ ابْنُها، وجعلتْ تنْظرُ إليه يَتلوَّى -أوْ قالَ: يَتلبَّطُ- فانْطَلَقَتْ كراهيةَ أنْ تَنْظُرَ إليهِ، فوَجَدت الصَّفَا أقْربَ جبَلٍ في الأرْضِ يليهَا، فقامَتْ

(١) كتاب أحاديث الأنبياء باب / ٥٣ ح ٣٤٦٥ - ٣ / ٧٢

عليه، ثُمَّ استقبلت الوَادي تنظُرُ هلْ تَرَى أحداً، فلَمْ ترَ أحداً. فهبَطَت من الصَّفا، حتى إذا بَلَغَتِ الوادي رفَعَتْ طرَفَ درْعِهَا، ثمَّ سعَتْ سعْيَ الإنْسانِ المجْهودِ حتى جاوزَتِ الواديَ، ثمَّ أتَت المرْوَةَ فقامَتْ عليْهَا فنَظرَتْ هل تَرَى أحداً؛ فلَمْ تَرَ أحداً. ففعلَتْ ذلكَ سبْعَ مرَّاتٍ. قالَ ابن عبَّاسٍ قالَ النبيُّ ﷺ: فذلكَ سعيُ النَّاسِ بينهُمَا. فلمَّا أَشْرفَت على المرْوة سمعَتْ صوتًا فقالَتْ: صَه -تريدُ نفسَهَا- ثُمَّ تَسَمَّعَتْ أيْضًا فقالت: قدْ أسْمَعْتَ إنْ كانَ عندكَ غِوَاثٌ، فإذَا هيَ بالْملكِ عندَ موضعِ زمزَمَ، فبحَثَ بعَقِبه -أوْ قالَ بجَنَاحه- حتَّى ظهَرَ الماءُ، فجعلَت تحوضُهُ وتقولُ بيدهَا هكذَا، وجعَلَتْ تغرفُ من الماءِ في سقَائهَا وهُوَ يَفُورُ بعْدَ ما تَغرفُ. قالَ ابن عبَّاسٍ قالَ النبيُّ ﷺ: يَرْحم الله أمَّ إسْمَاعيلَ لوْ تَركتْ زمْزَمَ -أوْ قالَ: لو لم تَغرفْ منِ الماءِ- لكانَتْ زَمْزَمُ عينًا مَعينًا. قالَ فَشَرِبَتْ وأرْضَعَتْ وَلَدهَا، فقالَ لهَا الملكُ: لا تخافُوا الضَّيعَةَ، فإنَّ هَا هُنَا بيتَ الله يبني هذَا الغُلامُ وأبوهُ، وإنَّ الله لا يضيِّعُ أهْلَهُ. وكانَ البَيتُ مرتَفعًا من الأرضِ كالرَّابيةِ، تأتيه السُّيُول فتأخُذُ عنْ يَمينه وشمَاله، فكانتْ كذلكَ حتَّى مرَّتْ بهِمْ رُفْقةٌ منْ جُرْهُمٍ -أوْ أهل بَيْتٍ منْ جرْهُمٍ- مُقْبلينَ من طريقِ كداءٍ، فَنَزَلُوا في أسْفَل مكَّةَ، فَرَأَوا طائراً عائفاً، فقالوا: إنَّ هذَا الطَّائرَ لَيَدُورُ على ماءٍ، لعَهْدُنا بهذَا الوَادي وَمَا فيهِ ماءٌ. فأرْسلوا جريًا أوْ جَرِيَّينِ فإذَا همْ بالماءِ، فرجعُوا فأخبرُوهُمْ بالماءِ، فأقبلُوا - قالَ وأمُّ إسماعيلَ عند الماءِ - فقالُوا أتأذنِيْنَ لَنَا أنْ ننزِلَ عندك؟ فقالَتْ: نعمْ، ولكن لا حَقَّ لكُمْ في الماءِ. قالُوا: نَعَمْ. قالَ ابنُ عبَّاسٍ قالَ النبيُّ ﷺ: فألفَى ذلكَ أمَّ إسماعيل وهيَ تُحبُّ الإنْسَ، فنزلُوا، وأرْسلُوا إلَى أهليهِمْ فنزلُوا معَهُمْ، حتَّى إذَا كانَ بهَا أهْلُ أبياتٍ منهم، وشَبَّ الغُلامُ وتعلَّمَ العربيَةَ منْهُمْ، وأنْفَسَهُمْ و أعْجَبَهُمْ حِينَ شبَّ، فلمَّا أدركَ زوَّجُوهُ امْرَأةً منْهم، وماتَتْ أمُّ إسْمَاعيلَ، فَجَاءَ إبْراهيمُ بعْد مَا تَزوَّجَ إسماعيلُ يُطالِعُ تَرِكتَهُ، فَلَمْ يَجدْ إسماعيل، فسألَ امرأتَهُ عنه فقالت: خرَجَ يَبتغي لنا، ثم سألها عن عَيشهم وهَيئتهم فقالت: نحنُ بشرٍّ، نحنُ في ضيقٍ وشدَّةٍ. فشكَتْ إليه. قالَ: فإذَا جاءَ زوْجُكِ فاقرئي عليه السلامَ وقولي لهُ يغَيِّرْ عَتبةَ بابه. فلما جاءَ إسماعيلُ كأنَّهُ آنَسَ شيئاً فقال: هل جاءكم من أحدٍ؟ قالت: نعم، جاءنا شيخٌ كذا وكذا، فسألَنَاعنك فأخبرتُه، وسألني كيف عَيشُنا، فأخبرتُه أنَا في جَهدٍ وشدَّةٍ. قال: فهل أوصاك بشيءٍ؟ قالت: نعم، أمرَني أن أقرأَ عليْكَ السلام، ويقول: غَيِّرْ عتبةَ بابكَ. قال: ذاكِ أبي، وقد أمرني أن أفارقَك، الحقِي بأهْلِكِ، فَطَلَّقَهَا، وتَزوَّجَ منْهُم أخرى. فلبثَ عنهُمْ إبْراهيمُ ما شاءَ اللهُ، ثمَّ أتاهُمْ بعدُ فلم يَجدْه، فَدَخَلَ على امْرأَتهُ فسألَهَا عنْهُ فقالَتْ خَرَجَ يبْتَغي لنا. قال: كيفَ أنتُمْ؟ وسألَهَا عنْ عَيْشهمْ وهيئتهم فقالت: نحن بخيرٍ وسَعَةٍ، وأثنَتْ على الله. فقالَ: ما طعامُكم؟ قالتْ: اللحمُ. قال: فما شرابُكم؟ قالتْ: الماءُ قال: اللَّهُمَّ بارك لهم في اللحمِ

والماء. قالَ النبيُّ ﷺ: ولمْ يكُنْ لَهُمْ يَوْمَئذٍ حَبٌّ، ولوْ كانَ لَهُمْ دعا لهم فيه، قال: فهما لا يَخْلو عليهمَا أحدٌ بغيرِ مكةَ إلا لم يُوافِقاهُ. قالَ: فإذَا جاءَ زوْجُكِ فاقرئي عليهِ السَّلامَ، ومُريهِ يُثبتُ عتبةَ بابه. فلما جاءَ إسماعيلُ قال: هل أتاكم من أحَد؟ قالت: نعم، أتانا شَيخٌ حسنُ الهيئةِ -وأثنَتْ عليه- فسألني عنكَ فأخبرتُه، فسألني كيف عيشُنا فأخبرتُهُ أنَّا بخيرٍ. قالَ: فأوصاكِ بشيءٍ؟ قالَتْ: نعم، هو يقرأُ عليكَ السلام، ويأمُرُكَ أنْ تُثْبِتَ عتبةَ بابِك.قال: ذاكِ أبي، وأنتِ العتبةُ، أمَرَني أنْ أمسكَكِ. ثم لَبِثَ عنهم ماشاءَ اللهُ، ثمَّ جاءَ بعْدَ ذلك وإسماعيلُ يَبْرِي نَبْلاً له تحتَ دَوْحَةٍ قريباً من زمْزمَ، فلما رآه قامَ إليه، فصَنَعا كما يَصنَعُ الوالدُ بالوَلَد والوَلَدُ بالوالد. ثم قال: يا إسماعيلُ، إن اللهَ أمَرَني بأمر. قال:فاصنَعْ ما أمَرَكَ ربُّكَ. قالَ، وتُعينني؟ قالَ: وأُعِينُكَ. قالَ: فإن اللهَ أمرني أن أبْنيَ ها هنا بيتا -وأشارَ إلى أكمة مُرتفعةٍ على ما حولَهَا- قال: فعندَ ذلكَ رفَعا القواعدَ منَ البيت، فجَعَلَ إسماعيلُ يَأتي بالحجارةِ وإبراهيمُ يَبني. حتى إذا ارتَفَعَ البناءُ جاءَ بهذا الحجَرِ فَوضَعَهُ لهُ، فَقَامَ عليْه وهُوَ يَبْني وإسماعيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارةَ، وهُما يقولانِ {ربَّنا تقبَّلْ منَّا، إنَّكَ أنْتَ السميعُ العليم} قالَ: فَجَعلا يبنيانِ حتى يدُورا حَولَ البيتِ وهُما يَقولان: {ربَّنا تقبَّلْ منَّا، إنَّكَ أنتَ السميعُ العَليم}».

٣٣٦٥ ـ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي اللّه عنهما قالَ: «لمَّا كانَ بَينَ إبراهيمَ وبين أهله ما كان خرجَ بإسماعيلَ، ومعهم شنَّةٌ فيهَا ماءٌ، فَجَعَلتْ أمُّ إسماعيلَ تشربُ منَ الشَّنَّة فيَدِرُّ لَبَنُها على صبيِّها حتَّى قَدِمَ مكة فَوضَعها تَحتَ دوحةٍ، ثمَّ رَجع إبراهيمُ إلى أهْله، فأتبعَتْه أمُّ إسْمَاعِيلَ حتى لما بَلغوا كداءَ نادتهُ مِن ورائه: يا إبراهيمُ إلَى مَنْ تتركُنَا؟ قالَ: إلَى اللّه. قالتْ: رضِيْتُ باللّه. قالَ فرَجَعَتْ فَجَعَلَتْ تشربُ من الشَّنَّة ويدرُّ لبَنُها عَلَى صبيِّها، حتى لما فَنِيَ الماءُ قالت: لو ذَهَبتُ فنظرْتُ لعلِّي أحسُّ أحَداً. قال: فَذَهَبَتْ فصعدَتِ الصَّفا فنظرت ونظرت هل تُحسُّ أحداً؟ فلم تَحسَّ أحداً. فلما بلغتِ الوادي سَعَت وأتتِ المروةَ، ففعلَتْ ذلكَ أشواطاً، ثمَّ قالَتْ: لَوْ ذَهبْتُ فنظرتُ مافعل -تعني الصبيَّ- فذهبَتْ فنظرتْ فإذَا هُوَ على حاله كأنَّهُ ينْشَغُ للموت، فلم تُقِرُّها نفسُهَا، فقالَتْ لَوْ ذَهَبتُ فَنَظرتُ لعلّي أحسُّ أحداً. فذهبتْ فصعدتِ الصفا فنظرتُ ونظرت فلم تحسَّ أحداً، حتى أتمتْ سبعاً، ثم قالتْ: لو ذهبتُ فنظرتُ ما فعل، فإذَا هيَ بصَوْتٍ، فقالت أغِثْ إن كان عندكَ خيرٌ، فإذَا جبريلُ، قالَ فقالَ بعَقِبه هكذَا، وغَمَزَ عَقبَهُ على الأرض، قالَ فانْبَثَقَ الماءُ، فدهَشَت أمُّ إسْمَاعِيلَ فَجَعَلَتْ تَحفِزُ، قالَ فقالَ أبُو القاسمِ: النبيُّ ﷺلو تركتْهُ كانَ الماءُ ظاهراً، قال فَجَعَلَتْ تَشربُ منِ الماءِ ويَدِرُّ لبنُها على صبيِّها قالَ فمرَّ ناسٌ من جُرهُمَ ببطنِ الوادي فإذَا همْ بطيرٍ، كأنهم أنكروا ذاك، وقالوا ما يكونُ الطيرُ إلا على ماءٍ، فَبعثُوا رسُولهم فَنَظرَ، فإذَا هُمْ بِالمَاءِ، فأتَاهُمْ فأخْبَرَهُمْ، فأتُوا إليهَا فقالُوا:

يا أُمَّ إسماعيلَ أتأذنينَ لنَا أن نكونَ معك، أونَسكُنَ معك؟ فبلغَ ابنُها فنكحَ فيهم امرأةً. قالَ: ثُمَّ إنه بدا لإبراهيمَ فقالَ لأهْلهِ: إنِّي مُطَّلِعٌ تَركَتِي. قال فَجَاءَ فسلَّم فقالَ: أين إسماعيلُ؟ فقالتْ امرأَتَهُ: ذَهَبَ يَصيدُ. قالَ: قولي لهُ إذا جاءَ: غيِّرْ عتبةَ بابِكَ. فلمَّا جاءَ أخبَرَته، قالَ أنْتِ ذاكِ، فاذهَبي إلى أهلكِ. قال ثمَّ إنهَ بَدا لإبراهيمَ فقالَ لأهلهِ إني مطَّلِعٌ تركَتِي. قال فجاءَ فقالَ: أين إسماعيلُ؟ فقالتْ إمْرأَتُهُ: ذَهَبَ يَصيدُ، فقالت: ألا تَنزلُ فتطعَمَ وتَشرَبَ؟ فقال: وما طعامُكُمْ وما شرابُكُمْ؟ قالتْ طعامُنا اللحمُ وشرابُنا الماءُ. قالَ: اللَّهُمَّ باركْ لهم فِي طعَامِهِمْ وشَرابِهِمْ. قالَ فقالَ أبُو القاسمِ ﷺ: بركةٌ بدعوةِ إبراهيم. قالَ: ثُمَّ إنَّهُ بَدَا لإبراهيمَ فقالَ لإهْلِهِ: إني مُطَّلِع تركَتِي، فجاءَ فوافقَ إسماعيلَ من وراءِ زَمْزَمَ يصلِحُ نَبلاً لَهُ، فقالَ: يا إسماعيلُ إنَّ ربَّك أمرنِي أن أبْنِيَ لهُ بيتًا. قالَ: أطِعْ ربَّكَ. قالَ: إنَّهُ أمرني أن تُعينَني عليه، قالَ: إذَن أفعَلُ - أو كما قال. قال فقامَا فجعَلَ إبراهيمُ يبني وإسماعيلُ يُناوِلهُ الحجارةَ، ويقولان {ربَّنَا تقبَّلْ مِنَّا، إنَّكَ أنْتَ السميعُ العليم}.

قال الله تعالى {فأقبلوا إليه يزفون} قال مجاهد: الوزيف النسلان أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق السدي قال: «رجع إبراهيم عليه السلام إلى آلهتهم فإذا هي في بهو عظيم مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى جنب بعض، فإذا هم قد جعلوا طعاما بين يدي الأصنام وقالوا: إذا رجعنا وجدنا الآلهة بركت في طعامنا فأكلنا، فلما نظر إليهم إبراهيم قال: {ألا تأكلون؟ مالكم لا تنطقون} فأخذ حديدة فبقر كل صنم في حافتيه ثم علق الفأس في الصنم الأكبر ثم خرج، فلما رجعوا جمعوا لإبراهيم الحطب حتى ان المرأة لتمرض فتقول لئن عافاني الله لأجمعن لإبراهيم حطبا. فلما جمعوا له وأكثروا من الحطب وأرادوا إحراقه قالت السماء والأرض والجبال والملائكة: ربنا خليلك إبراهيم يحرق؟ قال: أنا أعلم به، وإن دعاكم فأغيثوه. فقال إبراهيم: اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض ليس أحد في الأرض يعبدك غيري، حسبي الله ونعم الوكيل». انتهى.

قوله (عند دوحة) الشجرة الكبيرة.

قوله (فوق الزمزم) في رواية الكشميهني «فوق زمزم» وهو المعروف، وسيأتي شرح أمرها في أوائل السيرة النبوية(١).

قوله (ثم قفى إبراهيم) أي ولى راجعا إلى الشام.

قوله (ثم سعت سعي الإنسان المجهود) أي الذي أصابه الجهد وهو الأمر المشق.

قوله (فجعلت تحوضه) أي تجعله مثل الحوض.

---

(١) كتاب المناقب باب / ١١ ح ٣٥٢٢ - ٣ / ٩٠

قوله (عينا معينا) أي ظاهرا جاريا على وجه الأرض.

قال ابن الجوزي: كان ظهور زمزم نعمة من الله محضة بغير عمل عامل، فلما خالطها تحويط هاجر داخلها كسب البشر فقصرت على ذلك.

قوله (لاتخافوا الضيعة) أي الهلاك.

قوله (حتى مرت بهم رفقة) وهم الجماعة المختلطون سواء كانوا في سفر أم لا.

قوله (من جرهم) هو ابن قحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، وقيل ابن يقطن، قال ابن إسحق «وكان جرهم وأخوه قطورا أول من تكلم بالعربية عند تبلبل الألسن.

قوله (وهي تحب الأنس) ضد الوحشة.

قوله (وشبّ الغلام) أي إسماعيل.

قوله (وتعلم العربية منهم) فيه إشعار بأن لسان أمه وأبيه لم يكن عربيا، وفيه تضعيف لقول من روى أنه أول من تكلم بالعربية، وقد وقع ذلك من حديث ابن عباس عند الحاكم في «المستدرك» بلفظ أول من نطق بالعربية إسماعيل» وروى الزبير بن بكار في النسب من حديث علي بإسناد حسن قال «أول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة إسماعيل» وبهذا القيد يجمع بين الخبرين فتكون أوليته في ذلك بحسب الزيادة في البيان لا الأوليه المطلقة فيكون بعد تعلمه أصل العربية من جرهم ألهمه الله العربية الفصيحة المبينة فنطق بها، ويشهد لهذا ماحكاه ابن هشام عن الشرقي بن قطامي «أن عربية إسماعيل كانت أفصح من عربية يعرب بن قحطان وبقايا حمير وجرهم »ويحتمل أن تكون الأولية في الحديث مقيدة بإسماعيل بالنسبة إلى بقية إخوته من ولد إبراهيم فإسماعيل أول من نطق بالعربية من ولد إبراهيم.

قوله (زوجوه امرأة منهم) حكى الأزرقي عن ابن اسحق أن اسمها عمارة بنت سعد بن أسامة.

قوله (وماتت) هاجر أي في خلال ذلك.

قوله (يطالع تركته) أي يتفقد حال ما تركه هناك

قال ابن التين: هذا يشعر بأن الذبيح إسحق لأن المأمور بذبحه كان عندما بلغ السعي، وقد قال في هذا الحديث «إن إبراهيم ترك إسماعيل رضيعا وعاد إليه وهو متزوج» فلو كان هو المأمور بذبحه لذكر في الحديث أنه عاد إليه في خلال ذلك بين زمان الرضاع والتزويج، وتعقب بأنه ليس في الحديث نفي هذا المجيء، فيحتمل أن يكون جاء وأمر بالذبح ولم يذكر في الحديث. قلت: وقد جاء ذكر مجيئه بين الزمانين في خبر آخر، ففي حديث أبي جهم «كان

إبراهيم يزور هاجر كل شهر على البراق يغدو غدوة فيأتي مكة ثم يرجع فيقيل في منزله بالشام» وروى الفاكهي من حديث علي بإسناد حسن نحوه وإن إبراهيم كان يزور إسماعيل وأمه على البراق، فعلى هذا فقوله «فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل» أي بعد مجيئه قبل ذلك مرارا والله أعلم.

قوله (فقالت خرج يبتغي لنا) أي يطلب لنا الرزق.

قوله (ثم سألها عن عيشهم) زاد في رواية عطاء بن السائب «وقال هل عندك ضيافة».

قوله (فقالت: نحن بشرّ، نحن في ضيق وشدة، فشكت إليه) في حديث أبي جهم «فقال لها:هل من منزل؟ قالت: لا ها الله إذن، قال: فكيف عيشكم؟ قال فذكرت جهدا فقالت: أما الطعام فلا طعام، وأما الشاء فلا تحلب الا المصر -أي الشخب- وأما الماء فعلى ما ترى من الغلظ» انتهى.

قوله (عتبة بابك) كناية عن المرأة، وسماها بذلك لما فيها من الصفات الموافقة لها وهو حفظ الباب وصون ما هو داخله وكونها محل الوطء، ويستفاد منه أن تغيير عتبة الباب يصح أن يكون من كنايات الطلاق كأن يقول مثلا غيرت عتبة بابي أو عتبة بابي مغيرة وينوي بذلك الطلاق فيقع، أخبرت بذلك عن شيخنا الإمام البلقيني، وتمامه التفريع على شرع من قبلنا إذا حكاه النبي ﷺ ولم ينكره.

قوله (نحن بخير وسعة) في حديث أبي جهم «نحن في خير عيش بحمد الله، ونحن في لبن كثير ولحم كثير وماء طيب».

قوله (اللهم بارك لهم في اللحم والماء) في رواية إبراهيم بن نافع «اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم، قال قال أبو القاسم ﷺ بركة بدعوة إبراهيم» وفيه حذف تقديره في طعام أهل مكة وشرابهم بركة.

قوله (فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه) قال ابن القوطية: خلوت بالشيء وأختليت إذا لم أخلط به غيره.

قوله (هل أتاكم من أحد) في رواية عطاء بن السائب «فلما جاء إسماعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت نعم شيخ أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا».

قوله (دوحة) هي التي نزل إسماعيل وأمه تحتها أول قدومهما كما تقدم.

قوله (فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد) يعني من الاعتناق والمصافحة وتقبيل اليد ونحو ذلك.

قوله (جاء بهذا الحجر) يعني المقام، وفي رواية إبراهيم بن نافع «حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام» زاد في حديث عثمان «ونزل عليه

الركن والمقام فكان إبراهيم يقوم على المقام يبنى عليه ويرفعه له إسماعيل، فلما بلغ الموضع الذي فيه الركن وضعه يومئذ موضعه وأخذ المقام فجعله لاصقا بالبيت، فلما فرغ إبراهيم من بناء الكعبة جاء جبريل فأراه المناسك كلها، ثم قام إبراهيم على المقام فقال: يا أيها الناس أجيبوا ربكم، فوقف إبراهيم وإسماعيل تلك المواقف، وحجه إسحق وسارة من بيت المقدس، ثم رجع إبراهيم إلى الشام فمات بالشام» وروى الفاكهي بإسناد صحيح من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: «قام إبراهيم على الحجر فقال: يا أيها الناس كتب عليكم الحج، فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فأجابه من آمن ومن كان سبق في علم الله أنه يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك» وفي حديث أبي جهم «ذهب إسماعيل إلى الوادي يطلب حجرا، فنزل جبريل بالحجر الأسود، وقد كان رفع إلى السماء حين غرقت الأرض، فلما جاء إسماعيل فرأى الحجر الأسود قال: من أين هذا، من جاءك به: قال إبراهيم: من لم يكلني إليك ولا إلى حجرك».

١٠ ـ باب * ٣٣٦٦ ـ عنْ أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «قُلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أيُّ مسْجدٍ وُضعَ في الأرْض أوَّلَ؟ قال: المسجدُ الحرامُ. قالَ قلتُ: ثمَّ أيٌّ، قالَ: المسجدُ الأقْصَى، قلتُ: كمْ كانَ بينَهُمَا؟ قالَ: أربَعونَ سنَةً. ثم أينَمَا أدْركَتْكَ الصَّلاةُ بعدُ فصلّهْ، فإنَّ الفَضْلَ فيهِ».

[الحديث ٣٣٦٦ - طرفه في: ٣٤٢٥]

٣٣٦٧ ـ عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ «أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ طَلَعَ لهُ أُحُدٌ فقالَ: هذا جَبلٌ يُحبُّنَا ونُحبُّهُ، اللَّهُمَّ إنَّ إبراهيمَ حرَّم مكَّةَ، وإنِّي أحرِّمُ ما بين لابتَيهَا».

٣٣٦٨ ـ عنْ عائشَةَ رضيَ اللهُ عنها زوْجِ النبيِّ ﷺ أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «ألَمْ ترَى أنَّ قومكِ لمَّا بنوا الكعبَةَ اقْتصرُوا عنْ قَواعدِ إبراهيمَ. فقلتُ يا رسولَ اللهِ ألا تردُّهَا على قَواعدِ إبراهيمَ؟ فقالَ: لوْلا حدْثانُ قومكِ بالكُفْرِ. فقالَ عبدُ اللهِ بن عُمَرَ: لَئن كانَتْ عائشَةُ سمعَتْ هذا منْ رسُولِ اللهِ ﷺ مَا أرَى أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ تَركَ اسْتِلامَ الرُّكْنَيْنِ اللَّذين يَلِيَانِ الحِجْرَ إلا أنَّ البَيْتَ لمْ يُتَمَّمْ على قواعدِ إبْراهيمَ».

٣٣٦٩ ـ عنْ أبي حُميدٍ السَّاعديِّ رضيَ اللهُ عنْهُ «أنَّهُمْ قالُوا: يا رسُولَ اللهِ كيْفَ نُصَلِّي عليكَ؟ فقالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: قولوا: اللَّهُمَّ صل على مُحَمَّدٍ وأزْواجِه وذُرِّيَّته كمَا صلَّيتَ على آلِ إبْراهيمَ، وبَارِكْ على مُحَمَّدٍ وأزْواجِه وذُرِّيَّته كمَا باركْتَ علَى آلِ إبْراهيمَ، إنَّك حَميدٌ مَجيدٌ».

[الحديث ٣٣٦٩ - طرفه في: ٦٣٦٠]

٣٣٧٠ - عنْ عَبْدِ الرَّحْمن بن أبي لَيْلى قالَ: «لقيَني كعْبُ بنُ عُجْرَةَ فقالَ: ألا أهْدي لكَ هديةً سمعْتُها منَ النبيِّ ﷺ؟ فقلتُ: بَلى فأهْدِهَا لِي، فقالَ: سألْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْنَا: يا رسُولَ اللهِ كيفَ الصَّلاةُ عليْكمْ أهلَ البيتِ، فإنَّ اللهَ قدْ علَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ. قالَ: قولُوا اللهُمَّ صلِّ على مُحمَّدٍ وعلى آلِ مُحَمَّدٍ كمَا صلَّيْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبْراهيمَ إنَّكَ حَميدٌ مجيدٌ، اللهُمَّ بَارك على مُحمدٍ وعلى آل محمَّدٍ كما باركْتَ على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ إنَّك حَميدٌ مجيدٌ».

[الحديث ٣٣٧٠-طرفاه في : ٤٧٩٧، ٦٣٥٧]

٣٣٧١ - عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ النبيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الحسن والحسين ويقول: إنَّ أباكُمَا كانَ يُعوِّذُ بهما إسماعيل وإسْحَاق: أعوذُ بكلمات الله التَّامَّة، منْ كلِّ شيطَانٍ وهامَّةٍ، ومنْ كلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ».

قوله (ثم أي) بالتنوين وتركه كما تقدم في حديث ابن مسعود «أي الأعمال أفضل» وهذا الحديث يفسر المراد بقوله تعالى {إن أول بيت وضع للناس الذي ببكة} ويدل على أن المراد بالبيت بيت العبادة لا مطلق البيوت، وقد ورد ذلك صريحا عن علي أخرجه إسحق بن راهويه وابن أبي حاتم وغيرهما بإسناد صحيح عنه قال: «كانت البيوت قبله، ولكنه كان أول بيت وضع لعبادة الله».

قوله (المسجد الأقصى) يعني مسجد بيت المقدس، قيل له الأقصى لبعد المسافة بينه وبين الكعبة، وقيل لأنه لم يكن وراءه موضع عبادة، وقيل لبعده عن الأقذار والخبائث، والمقدس المطهر عن ذلك.

قوله (أربعون سنة) قال ابن الجوزي: فيه إشكال، لأن إبراهيم بَنَى الكعبة وسليمان بَنَى بيت المقدس وبينهما أكثر من ألف سنة انتهى، ومستنده في أن سليمان عليه السلام هو الذي بنى المسجد الأقصى ما رواه النسائي من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعا بإسناد صحيح «أن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلالا ثلاثا» الحديث، وفي الطبراني من حديث رافع بن عميرة «أن داود عليه السلام ابتدأ ببناء بيت المقدس، ثم أوحى الله إليه: إني لأقضي بناءه على يد سليمان» وفي الحديث قصة، قال: وجوابه أن الإشارة إلى أول البناء ووضع أساس المسجد وليس إبراهيم أول من بنى الكعبة ولا سليمان أول من بنى بيت المقدس، فقد روينا أن أول من بنى الكعبة آدم ثم انتشر ولده في الأرض، فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس ثم بنى إبراهيم الكعبة بنص القرآن، وكذا قال القرطبي: إن الحديث لا يدل على أن إبراهيم وسليمان لما بنيا المسجدين ابتدآ وضعهما لهما،

بل ذلك تجديد لما كان أسسه غيرهما.

قوله (فإن الفضل فيه) أي في فعل الصلاة إذا حضر وقتها، وفي «جامع سفيان بن عيينة» عن الأعمش «فإن الأرض كلها مسجد أي صالحة للصلاة فيها. ويخص هذا العموم بما ورد فيه النهي والله أعلم.

قوله (بكلمات الله) قيل المراد بها كلامه على الإطلاق، وقيل أقضيته، وقيل ما وعد به كما قال تعالى: {وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل} والمراد بها قوله تعالى {ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض} المراد بالتامة الكاملة وقيل النافعة وقيل الشافية وقيل المباركة وقيل القاضية التي تمضي وتستمر ولا يردها شيء ولا يدخلها نقص ولا عيب، قال الخطابي: كان أحمد يستدل بهذا الحديث على أن كلام الله غير مخلوق، ويحتج بأن النبي ﷺ لا يستعيذ بمخلوق.

قوله (من كل شيطان) يدخل تحته شياطين الإنس والجن.

قوله (وهامة) بالتشديد واحدة الهوام ذوات السموم، وقيل المراد كل نسمة تهم بسوء.

قوله (ومن كل عين لامة) قال الخطابي: المراد به كل داء وآفة تلم بالإنسان من جنون وخبل

١١ - باب قول الله عزَّ وجلَّ {وَنَبِّئْهُمْ عن ضيفِ إبراهيمَ إذْ دخلُوا عليه} الآية /الحجر:٥١/ {وَإذا قالَ إبراهيمُ: ربِّي أرنى كَيفَ تُحْيِ الْموتى} الآية /البقرة:٢٦٠/

٣٣٧٢ - عن أبي هريرةَ رضِيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: نحْنُ أحقُّ بالشَّكِّ من إبراهيمَ إذْ قالَ: {ربِّ أرني كيفَ تُحْيِ الموتى. قال: أو لَمْ تُؤْمِنْ؟ قالَ بلى ولكن ليَطْمَئِنَّ قلبي} وَيَرْحمُ اللهُ لُوطاً لقَدْ كان يَأْوِي إلى ركنٍ شديدٍ، ولو لبثتُ في السِّجْنِ طولَ مالبثَ يوسُفُ لأجبْتُ الدَّاعِيَ».

[الحديث ٣٣٧٢ - أطرافه في: ٣٣٧٥، ٣٣٨٧، ٤٥٣٧، ٤٦٩٤، ٦٩٩٢]

قوله (نحن أحق بالشك من إبراهيم) واختلف السلف في المراد بالشك هنا، فحمله بعضهم على ظاهره وقال: كان ذلك قبل النبوة، وحمله أيضا الطبري على ظاهره وجعل سببه حصول وسوسة الشيطان، لكنها لم تستقر ولا زلزلت الإيمان الثابت، واستند في ذلك إلى ما أخرجه هو وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والحاكم من طريق عبد العزيز الماجشون عن محمد بن المنكدر عن ابن عباس قال: «أرجى آية في القرآن هذه الآية {وإذ قال إبراهيم ربي أرنى كيف تحي الموتى} الآية، قال ابن عباس: هذا لما يعرض في الصدور ويوسوس به الشيطان

فرضى الله من إبراهيم عليه السلام بأن قال: بلى. ثم اختلفوا في معنى قوله ﷺ: «نحن أحق بالشك» فقال بعضهم: معناه نحن أشد اشتياقًا إلى رؤية ذلك من إبراهيم، وقيل معناه إذا لم نشك نحن فإبراهيم أولى أن لا يشك، أني لو كان الشك متطرقا إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به منهم، وقد علمتم أنى لم أشك فاعلموا أنه لم يشك. وإنما قال ذلك تواضعا منه، أو من قبل أن يعلمه الله بأنه أفضل من إبراهيم، وهو كقوله في حديث أنس عند مسلم «أن رجلا قال للنبي ﷺ: يا خير البرية، قال ذاك إبراهيم» وقيل أن سبب هذا الحديث أن الآية لما نزلت قال بعض الناس: شك إبراهيم ولم يشك نبينا فبلغه ذلك فقال: نحن أحق بالشك من إبراهيم، وأراد ما جرت به العادة في المخاطبة لمن أراد أن يدفع عن آخر شيئاً قال: مهما أردت أن تقوله لفلان فقله لي، ومقصوده لا تقل ذلك. وقيل: أراد بقوله نحن أمته الذين يجوز عليهم الشك وإخراجه هو منه بدلالة العصمة. وقيل: معناه هذا الذي ترون أنه شك أنا أولى به لأنه ليس بشك إنما هو طلب لمزيد البيان. وحكى بعض علماء العربية أن أفعل ربما جاءت لنفي المعنى عن الشيئين بنحو قوله تعالى {أهم خير أم قوم تبع} أي لا خير في الفريقين، ونحو قول القائل: الشيطان خير من فلان أي لا خير فيهما، فعلى هذا فمعنى قوله «نحن أحق بالشك من إبراهيم» لاشك عندنا جميعا.

قوله (بلى ولكن ليطمئن قلبي) أي ليزيد سكونا بالمشاهدة المنظمة إلى اعتقاد القلب، لأن تظاهر الأدلة أسكن للقلوب، وكأنه قال أنا مصدق، ولكن للعيان لطيف معنى وقال عياض: لم يشك إبراهيم بأن الله يحي الموتى، ولكن أراد طمأنينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الإحياء فحصل له العلم الأول بوقوعه، وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته، ويحتمل أنه سأل زيادة اليقين وإن لم يكن في الأول شك لأن العلوم قد تتفاوت في قوتها فأراد الترقي من علم اليقين إلى عين اليقين والله أعلم.

قوله (ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي) أي لأسرعت الإجابة في الخروج من السجن ولما قدمت طلب البراءة، فوصفه بشدة الصبر حيث لم يبادر بالخروج وإنما قاله ﷺ تواضعا، والتواضع لا يحط مرتبة الكبير بل يزيده رفعة وجلالا، وقيل هو من جنس **قوله** «لا تفضلوني على يونس» وقد قيل إنه قاله قبل أن يعلم أنه أفضل من الجميع، وسيأتي تكملة لهذا الحديث في قصة يوسف[١].

(١) كتاب التفسير "يوسف" باب / ٥ ح ٤٦٩٤ - ٣ / ٥٧١

١٢ ـ باب قول الله تعالى
{واذكُرْ فِي الكتابِ إسْماعيلَ إنَّهُ كَانَ صادقَ الْوعْدِ} /مريم:٥٤/

٣٣٧٣ ـ عنْ سلمَةَ بنِ الأكوعِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «مَرَّ النبيُّ ﷺ على نفرٍ مِنْ أسْلَم ينْتضلونَ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ارمُوا بني إسماعيلَ فإنَّ أباكمْ كانَ رامياً، ارمُوا وأنَا معَ بني فُلان. قالَ: فأمسَكَ أحدُ الفريقينِ بأيديهمْ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: مالكم لا تَرْمُونَ؟ فقالوا: يا رسُولَ اللهِ نرْمِي وأنْتَ معهُمْ؟ قالَ ارمُوا وأنَا معكُمْ كلِّكُمْ».

١٣ ـ باب قصَّةِ إسحاقَ بن إبراهيمَ عليهمَا السَّلام

فيهِ ابن عمرَ وأبو هريرة عنِ النبيِّ ﷺ.

قوله (قصة[1] إسحق بن إبراهيم النبي ﷺ ذكر ابن إسحاق أن هاجر لما حملت بإسماعيل غارت سارة فحملت بإسحق فوضعتا معا فشب الغلامان.

١٤ ـ باب {أَمْ كنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يعقوبَ الْموتُ - إلَى قوله - ونحْنُ لهُ مُسْلمُون} /البقرة:١٣٣/

٣٣٧٤ ـ عن أبي هريرَةَ رضيَ اللهُ عنه قالَ: «قيلَ للنبيِّ ﷺ: منْ أكرَمُ النَّاسِ؟ قالَ: أكرَمُهُمْ أتقاهُمْ. قالوا: يا نَبيَّ اللهِ ليْسَ عنْ هذا نسْألُكَ. قالَ: فأكرَمُ النَّاسِ يُوسفُ نبيُّ اللهِ ابن نَبيِّ اللهِ ابن نَبيِّ اللهِ ابن خليلِ اللهِ. قالوا: ليْسَ عنْ هذا نَسْألُكَ. قالَ: أفعَنْ معادنِ العَرَبِ تسْألُونَني؟ قالُوا: نعمْ. قالَ: فخيَارُكمْ فِي الجاهلية خيارُكُمْ فِي الإسْلامِ إذَا فَقهُوا».

قوله (باب أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه الآية) أورد فيه حديث أبي هريرة، ومناسبته لهذه الترجمة من جهة موافقة الحديث الآية في سياق نسب يوسف عليه السلام، فإن الآية تضمنت أن يعقوب خاطب أولاده عند موته محرضا لهم على الثبات على الإسلام، وقال له أولاده إنهم يعبدون إلهه وإله آبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحق، ومن جملة أولاد يعقوب يوسف عليهم السلام، فنص الحديث على نسب يوسف وأنه ابن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم وزاد أن الأربعة أنبياء في نسق.

قوله (قالوا يا نبي الله ليس عن هذا نسألك، قال: فأكرم الناس يوسف)الجواب الأول من جهة الشرف بالأعمال الصالحة، والثاني من جهة الشرف بالنسب الصالح.

قوله (أفعن معادن العرب) أي أصولهم التي ينسبون إليها ويتفاخرون بها، وإنما جعلت معادن لما فيها من الاستعداد المتفاوت، أو شبههم بالمعادن لكونهم أوعية الشرف كما أن المعادن اوعية للجواهر.

---

(١)في المتن واليونينية "باب قصة إسحق بن إبراهيم عليهما السلام"

قوله (فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا) يحتمل أن يريد بقوله «خياركم» جمع خير، ويحتمل أن يريد أفعل التفضيل تقول في الواحد خير وأخير ثم القسمة رباعية، فإن الأفضل من جمع بين الشرف في الجاهلية والشرف في الإسلام وكان شرفهم في الجاهلية بالخصال المحمودة من جهة ملائمة الطبع ومنافرته خصوصا بالانتساب إلى الآباء المتصفين بذلك، ثم الشرف في الإسلام بالخصال المحمودة شرعا، ثم أرفعهم مرتبة من أضاف إلى ذلك التفقه في الدين، ومقابل ذلك من كان مشروفا في الجاهلية واستمر مشروفا في الإسلام فهذا أدنى المراتب؛والقسم الثالث من شرف في الإسلام وفقه ولم يكن شريفا في الجاهلية، ودونه من كان كذلك لكن لم يتفقه، والقسم الرابع من كان شريفا في الجاهلية ثم صار مشروفا في الإسلام فهذا دون الذي قبله، فإن تفقه فهو أعلى رتبة من الشريف الجاهل.

١٥ - باب {وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرونَ، أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً من دون النِّساء، بلْ أَنْتم قومٌ تَجْهلونَ. فَمَا كَانَ جوابَ قوْمِه إلا أنْ قالُوا أَخْرِجُوا آلَ لوطٍ منْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أناسٌ يتطهَّرُونَ. فأنْجيناهُ وأهْلَهُ إلا امْرَأَتَهُ قدَّرْناهَا من الغَابرينَ، وأمْطَرْنَا عليهِمْ مطراً فسَاءَ مطرُ الْمنذَرينَ} /النمل:٥٤-٥٨/

٣٣٧٥ - عن أبي هُرَيرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «يغْفِرُ الله لِلُوطٍ إنْ كان ليأوِي إلى ركنٍ شديد».

قوله (باب ولوطًا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة -إلى قوله- فساء مطر المنذرين) يقال أنه لوط بن هاران بن تارخ وهو ابن أخي إبراهيم عليه السلام، وقد قص الله تعالى قصته مع قومه في الأعراف وهود والشعراء والنمل والصافات وغيرها وحاصلها أنهم ابتدعوا وطء الذكور فدعاهم لوط إلى التوحيد وإلى الإقلاع عن الفاحشة فأصروا على الامتناع، ولم يتفق أن يساعده منهم أحد، وكانت مدائنهم تسمى سدوم وهي بغور زغر من البلاد الشامية، فلما أراد الله إهلاكهم بعث جبريل وميكائيل وإسرافيل إلى إبراهيم فاستضافوه فكان ما قص الله في سورة هود، ثم توجهوا إلى لوط فاستضافوه فخاف عليهم من قومه وأراد أن يخفي عليهم خبرهم فنمت عليهم امرأته فجاءوا إليه وعاتبوه على كتمانه أمرهم وظنوا أنهم ظفروا بهم، فأهلكهم الله على يد جبريل فقلب مدائنهم بعد أن خرج عنهم لوط بأهل بيته، إلا امرأته فإنها تأخرت مع قومها أو خرجت مع لوط فأدركها العذاب، فقلب جبريل المدائن بطرف جناحه فصار عاليها سافلها وصار مكانها بحيرة منتنة لا ينتفع بمائها ولا بشيء مما حولها.

قوله (يغفر الله للوط إن كان ليأوي إلى ركن شديد) أي إلى الله سبحانه وتعالى، يشير ﷺ إلى قوله تعالى {لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد} ويقال إن قوم لوط لم يكن فيهم أحد يجتمع معه في نسبه نهم من سدوم وهي من الشام وكان أصل إبراهيم ولوط من العراق، فلما هاجر إبراهيم إلى الشام هاجر معه لوط، فبعث الله لوطا إلى أهل سدوم فقال: لو أن لي منعة وأقارب وعشيرة لكنت أستنصر بهم عليكم ليدفعوا عن ضيفاني.

وقال النووي: يجوز أنه لما اندهش بحال الأضياف قال ذلك، أو أنه التجأ إلى الله في باطنه وأظهر هذا القول للأضياف اعتذاراً، وسمى العشيرة ركنا لأن الركن يستند إليه ويمتنع به فشبههم بالركن من الجبل لشدتهم ومنعتهم.

١٦ ـ باب {فلمَّا جاءَ آل لوطٍ المرسلونَ، قالَ إنَّكُمْ قومٌ مُنْكَرُونَ}

/الحجر:٦٢/

{بركْنه}: بمن معَهُ لأنهُمْ قوتُه. {تَركنوا}: تَميلوا. فأنكَرَهُمْ ونَكرهم واستنْكرهم واحد. {يُهْرَعون}: يُسرعون {دابر}: آخر. {صَيحة}: هلكة. {للمتوسّمين}: للناظرين. {لَبِسبيل}: لبطَريق .

٣٣٧٦ ـ عنْ عبدِ الله رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «قَرأ النبيُّ ﷺفهل مِنْ مُدَّكِرٍ».

١٨ ـ باب {أمْ كُنْتُمْ شهداءَ إذْ حَضَرَ يعقُوبَ المَوتُ} /البقرة:١٣٣/

٣٣٨٢ ـ عَن ابنِ عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهما عنِ النبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ: «الكريمُ ابنُ الكَريمِ ابن الكريمِ ابن الكريم : يُوسفُ ابنُ يعقُوبَ بن إسْحاقَ بن إبْراهيمَ عليهِمْ السَّلامَ».

[الحديث ٣٣٨٢-طرفاه في:٣٣٩٠،٤٦٨٨]

١٩ ـ باب قولِ اللّه تعالى {لقَدْ كان في يوسُفَ وإخوته آياتٌ للسائلين} /يوسف:٧/

٣٣٨٣ ـ عنْ أبي هُرَيرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ «سُئِلَ رسُولُ الله ﷺ: منْ أكْرَمُ الناسِ؟ قال: أتقاهم للهِ. قالوا: ليسَ عن هذا نسألُكَ. قالَ: فأكْرَمُ النَّاسِ يوسُفُ نبيُّ اللهِ ابنُ نبيِّ الله ابنُ نبيِّ الله ابنِ خليلِ الله. قالوا: ليسَ عن هذا نسألُك. قال: فعن معادِنِ العرب تسألونني؟ الناسُ معادن، خيارُهم في الجاهليةِ خيارُهُمْ في الإسلام إذا فقهُوا».

٣٣٨٤ ـ عن عائِشَةَ رضيَ اللهُ عنهَا أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ لَهَا: «مُرِي أبا بكرٍ يُصلّي بالناس. قالت: إنَّهُ رجلٌ أسيف، متى يَقُم مقامَك رقَّ. فعادَ، فعادَت. قال شعبة:فقال في الثالثة -أو الرابعة -: إنكُن صواحِبُ يوسُفَ، مُروا أبَا بَكْر ......»

٣٣٨٥ ـ عنْ أَبي بردةَ بن أبي مُوسى عنْ أبِيهِ قالَ: «مَرِضَ النبيُّ ﷺ فَقَال: مُرُوا أبا بكرٍ فليُصَلِّ بالناس. فقالت عائشة: إن أبا بكرٍ رجلٌ كذا -فقال مثلَهُ، فقالت مثْلَهُ-

فقالَ: مُروا أبَا بَكْر، فإنكن صَواحبُ يوسُفَ. فأمَّ أبو بكرٍ في حياةِ رسولِ الله ﷺ».

٣٣٨٦ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قال: «قالَ رسولُ الله ﷺ: اللهُمَّ أنجِ عيَّاش بن أبي ربيعةَ، اللهُمَّ أنج سَلمةَ بن هِشامٍ، اللهُمَّ أنج الوَليد بن الوليد، اللهُمَّ أنج المستَضعَفِينَ مِنَ المؤمِنِينَ. اللهُمَّ اشدُدْ وطأتَكَ على مُضَر، اللهُمَّ اجعَلْها سنِينَ كسني يوسُفَ».

٣٣٨٦ ـ عن أبي هريرة رضِيَ الله عنه قال: «قالَ رسولُ الله ﷺ: يرحَمُ الله لوطًا، لقدْ كانَ يأوِي إلى رُكنٍ شديد، ولو لبِثتُ في السجنِ ما لبِثَ يوسُفُ ثمَّ أتاني الداعي لأجَبْتُهُ».

٣٣٨٨ ـ عنْ مسروقٍ قالَ: «سَألتُ أمَّ رومانَ وهيَ أمُّ عائشةَ لما قِيلَ فيها ما قيل قالَتْ: بَيْنَمَا أنَا مَع عائشَةَ جالستانِ، إذ ولجت عَلَيْنَا امرأةٌ من الأنْصارِ وهِيَ تقُولُ: فَعَل اللهُ بفُلان وَفَعَل. قالتْ: فقلتُ: لم؟ قالتْ: إنَّهُ نَمى ذكرَ الحديث، فقالت عائشةُ: أي حديث؟ فأخبَرْتهَا. قالتْ: فسمعَهُ أبو بكْر ورسولُ اللهِ ﷺ؟ قالتْ: نَعَم، فخرَّت مغشياً عليها، فما أفاقَتْ إلا وعَلَيهَا حُمَّى بنَافِض. فجاءَ النبيُّ ﷺ فقالَ: مَا لهذه؟ قُلْتُ حُمَّى أخَذَتهَا منْ أجْلِ حديثٍ تحُدِّثَ به. فَقَعَدت فقالت: واللهِ لئن حلفتُ لا تُصدِّقونني، ولئِنْ اعتذَرتُ لا تعذرونني، فَمَثَلي ومَثَلُكُمْ كَمَثَلِ يعقُوبَ وبَنِيه، وَاللهُ المستَعانُ على ما تصِفون. فانصرَفَ النبيُّ ﷺ، فأنزَلَ اللهُ ما أنزَل، فأخبَرها فقالَتْ: بِحمدِ اللهِ لا بحمدِ أحدٍ».

[الحديث ٣٣٨٨ – أطرافه في: ٤١٤٣، ٤٦٩١، ٤٧٥١]

٣٣٨٩ ـ عَنْ عَرْوَةَ أنَّهُ سأل عائشَةَ رضيَ الله عنها زوْجَ النبيِّ ﷺ: أرأيتِ قولَ اللهِ {حتَّى إذَا استيأسَ الرُّسُل وظنُّوا أنَّهُمْ قدْ كذِّبُوا} أوْ كُذبوا؟ قالتْ بَلْ كذَّبهم قومهم، فقلتُ واللهِ لقَدْ استيقنوا أنَّ قومَهم كذَّبوهم وما هو بالظنِّ. فقالت: يا عُرَيَة، لقدِ استيقنوا بذلكَ. قلتُ فلعلها «أوْ كُذبوا» قالت: معاذَ الله، لَمْ تكن الرُّسُل تظنُّ ذلكَ بربها، وأما هذهِ الآية قالت: هم أتباعُ الرُّسُلِ الَّذينَ آمنُوا بربهم وصدَّقوهم وطال عليهم البلاء واستأخَرَ عنهُمُ النصرُ، حتَّى إذا استيأسَتْ مِمَّنْ كذَّبَهُمْ من قومِهِمْ وظنُّوا أنَّ أتباعَهم كذبوهم جاءَهم نصرُ اللهِ». قالَ أبو عبدالله: {استيأسوا} استفعلوا من يئستُ. {منه} من يوسفَ {ولا تَيأسوا من رَوحِ اللهِ} معناه من الرجاء

[الحديث ٣٣٨٩ – أطرافه في: ٤٥٢٥، ٤٦٩٥، ٤٦٩٦]

٣٣٩٠ ـ عنْ ابن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُمَا أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «الكريم ابنِ الكريم ابن الكريم ابنِ الكَريم يوسُفُ بنُ يعقوبَ بن إسْحَاقَ بن إبْرَاهيمَ عليهِم السلام».

قوله (باب قول الله تعالى: لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) اسم إخوة يوسف: روبيل وهو أكبرهم، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، وداني، ونفتالي، وكاد، وأشير وأيساجر، ورايلون، وبنيامين وهم الأسباط. وقد اختلف فيهم فقيل: كانوا أنبياء، ويقال لم يكن فيهم نبي وإنما المراد بالأسباط قبائل من بني إسرائيل، فقد كان فيهم من الأنبياء عدد كثير.

قوله (ولا تيأسوا من روح الله معناه من الرجاء) وروى ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن بشير عن قتادة «لا تيأسوا من روح الله أي من رحمة الله».

٢٠ ـ باب قول اللّه تعالى{وأيوبَ إذْ نادَى ربَّهُ أني مَسَّنِيَ الضرُّ وأنتَ أرحَمُ الرَّاحمين}. {اَرْكُض} /الأنبياء:٨٣/: اضرِب. {يَرْكُضون}: يَعْدُون

٣٣٩١ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ اللّه عنهُ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «بَيْنَمَا أيوبُ يغتسلُ عُرياناً خرَّ عليه رِجلُ جرادٍ من ذَهب، فجعلَ يَحثِي في ثوبه فنادَى ربُّهُ: يَا أيوبُ ألم أكُنْ أغنيتُكَ عمَّا تَرَى؟ قالَ: بَلى يارب، ولَكنْ لا غنى لِي عنْ بَرَكتِك».

قوله (باب قول الله تعالى {وأيوب إذ نادى ربه}) الآية

وحكى ابن عساكر أن أمه بنت لوط عليه السلام وأن أباه كان ممن آمن بإبراهيم وعلى هذا فكان قبل موسى. وقال ابن إسحق: الصحيح أنه كان من بني إسرائيل ولم يصح في نسبه شيء إلا أن إسم أبيه أمص والله اعلم. وقال الطبري: كان بعد شعيب. وقال ابن أبي خيثمة: كان بعد سليمان.

قوله (اركض اضرب، يركضون يعدون) روى ابن جرير من طريق شعبة عن قتادة في قوله {اركض برجلك} قال: ضرب برجله الأرض فإذا عينان تنبعان فشرب من إحداهما واغتسل من الأخرى.

قوله (خر عليه) أي سقط عليه، وقوله (رجل جراد) أي جماعة جراد، والجراد اسم جمع واحده جرادة.

قوله (يحثي) أي يأخذ بيديه جميعا، وفي الحديث جواز الحرص على الاستكثار من الحلال في حق من وثق من نفسه بالشكر عليه، وفيه تسمية المال الذي يكون من هذه الجهة بركة، وفيه فضل الغني الشاكر وسيأتي بقية مباحث هذه الخصلة الأخيرة في الرقاق[١] إن شاء الله تعالى. واستنبط منه الخطابي جواز أخذ النثار في الإملاك، وتعقبه ابن التين فقال: هو شيء خص الله به نبيه أيوب، وهو بخلاف النثار فإنه من فعل الآدمي فيكره لما فيه من السرف، ورد عليه بأنه أذن فيه من قبل الشارع إن ثبت الخبر، ويستأنس فيه بهذه القصة والله أعلم. (تنبيه): لم يثبت عند البخاري في قصة أيوب شيء، فاكتفى بهذا الحديث الذي

(١) كتاب الرقاق باب / ١٦ ح ٦٤٤٧ – ٥ / ٢٠

على شرطه. وأصح ماورد في قصته ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن جريج وصححه ابن حبان والحاكم من طريق نافع بن يزيد عن عقيل عن الزهري عن أنس «أن أيوب عليه السلام ابتلي فلبث في بلائه ثلاث عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه فكانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما للآخر: لقد أذنب أيوب ذنبا عظيما وإلا لكشف عنه هذا البلاء، فذكره الآخر لأيوب، يعني فحزن ودعا الله حينئذ فخرج لحاجته وأمسكت امرأته بيده فلما فرغ أبطأت عليه، فأوحى الله إليه أن اركض برجلك، فضرب برجله الأرض فنبعت عين فاغتسل منها فرجع صحيحا، فجاءت امرأته فلم تعرفه، فسألته عن أيوب فقال: إني أنا هو؛ وكان له أندران: أحدهما للقمح، والآخر للشعير، فبعث الله له سحابة فأفرغت في أندر القمح الذهب حتى فاض، وفي أندر الشعير الفضة حتى فاض» وذكر وهب بن منبه ومحمد بن إسحق في «المبتدأ» قصة مطولة جدا وحاصلها أنه كان بحوران، وكان له البثنية سهلها وجبلها، وله أهل ومال كثير وولد، فسلب ذلك كله شيئا فشيئا وهو يصبر ويحتسب، ثم ابتلي في جسده بأنواع من البلاء حتى ألقي خارجا من البلد، فرفضه الناس إلا امرأته، فبلغ من أمرها أنها كانت تخدم بالأجرة وتطعمه إلى أن تجنبها الناس خشية العدوى فباعت إحدى ضفيرتيها من بعض بنات الأشراف وكانت طويلة حسنة فاشترت له به طعاما طيبا، فلما أحضرته له حلف أن لا يأكله حتى تخبره من أين لها ذلك، فكشفت عن رأسها، فاشتد حزنه وقال حينئذ {رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين} فعافاه الله تعالى.

٢١ ـ باب . {واذكُرْ في الكتاب موسى إِنَّهُ كانَ مخلصًا وكانَ رسُولاً نبيا. ونادَيناهُ من جانبِ الطُّورِ الأيْمَنِ وقرَّبناهُ نَجيًا} /مريم:٥١/ كلمَهُ. {ووَهَبْنَا لهُ من رحمتِنا أخاهُ هارُونَ نبيا} يقال للواحدِ والاثنين والجميع: نَجِيّ. ويُقال: خَلَصُوا نَجيًا اعتزَلوا نجيًا، والجميعُ أنْجيةٌ يتناجَونَ. {وقالَ رجُلٌ مؤمنٌ منْ آل فِرْعَوْنَ يَكتُمُ إيْمانَه -إلى- منْ هُوَ مُسرِفٌ كذَّاب} /غافر:٢٨/

٣٣٩٢ ـ قالت عائشةُ رضِيَ اللهُ عنهَا «فَرَجَعَ النبيُّ ﷺ إلى خديجةَ يرجُفُ فؤادهُ، فانطَلَقَتْ بِهِ إلى وَرَقَةَ بنِ نوفلٍ -وكانَ رجلاً تَنصَّرَ، يَقرَأُ الإنْجيل بالعربيةِ - فقال ورقَة: ماذَا ترَى؟ فأخْبَرَهُ، فقال ورقةُ: هذا الناموسُ الذي أنزَلَ اللهُ على مُوسى، وإن أدركَني يومُكَ أنصرْكَ نَصرًا مُؤزَّرًا».

الناموسُ : صاحب السرِّ الذي يُطلِعَهُ بِمَا يَستُرهُ عن غيرِه.

وموسى هو ابن عمران بن لاهب بن عازر بن لاوي بن يعقوب عليه السلام لا اختلاف في نسبه، ذكر السدي في تفسيره بأسانيده أن بدء أمر موسى أن فرعون رأى كأن نارا أقبلت

من بيت المقدس فأحرقت دور مصر وجميع القبط إلا دور بني إسرائيل، فلما استيقظ جمع الكهنة والسحرة فقالوا: هذا غلام يولد من هؤلاء يكون خراب مصر على يده، فأمر بقتل الغلمان، فلما ولد موسى أوحى الله إلى أمه أن أرضعيه، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم، قالوا فكانت ترضعه، فإذا خافت عليه جعلته في تابوت وألقته في البحر وجعلت الحبل عندها، فنسيت الحبل يوما فجرى به النيل حتى وقف على باب فرعون فالتقطه الجواري فأحضروه عند امرأته، ففتحت التابوت فرأته فأعجبها، فاستوهبته من فرعون فوهبه لها، فربته حتى كان من أمره ما كان.

٢٢ ـ باب قولِ اللّه عزَّ وجَلَّ {وهَلْ أتَاكَ حديثُ موسَى إذْ رأَى ناراً -إلى قَولِه- بالوادِ المقدَّس طُوَى}/طه: ٩-١٢/

{آنستُ} أبصَرْتُ {ناراً لعلى آتيكم منها بقبسٍ} الآية. قالَ ابنُ عبَّاسٍ {المقدَّس}: المبارك {طُوَى}: اسم الوادي. {سِيرَتها}: حالَتُها. {والنُّهى} التُّقى. {بِملكِنا} بأمرنا. {هَوَى}: شَقِيَ. {فارغاً} إلا مِنْ ذكرِ موسَى. {ردْءاً} كي يُصدِّقني، ويقال: مُغيثًا أوْ مُعِينا. {يَبطُش، ويَبطِش}. {يَأتَمِرون}، يتَشاورُونَ. والجذوة: قطعةٌ غليظةٌ منَ الخشب ليس فيها لهب. {سنَشُدُّ}: سنُعينُكَ، كلما عزَّزت شيْئًا فَقَدْ جعَلْتَ لهُ عَضُدا. وقال غيرُهُ: كلما لم يَنطِقْ بحرفٍ أوْ فيه تَمْتَمةٌ أو فيهِ فأفأةٌ فهي {عُقدة}. {أزري}: ظَهري. {فيُسحتَكم} فيُهلِكَكُمْ. {المثْلى} تأنيث الأمْثل، يقول: بدِينكمْ، يقال: خُذِ المثلى خُذِ الأمْثَل. {ثم ائتوا صَفًا} يقال: هل أتيتَ الصفَّ اليومَ؟ يعني المصلَّى الذي يُصلَّى فيه. {فأوجَسَ}: أضمرَ خوفاً، فذَهَبَتِ الواوُ من {خِيفة} لكسرةِ الخاء. {في جُذوعِ النخل}: على جُذوع. {خطْبُكَ} بالك. {مساس} مصدرُ ماسَّه مِساسا. {لَنَنْسِفَنَّهُ} لَنُذرِيَنَّهُ {الضَّحاءُ}: الحرُّ. {قُصِّيه}: اتبعي أثرَهُ، وقد يكون أنْ نقُصَّ الكلامَ {نحنُ نقُصُّ عليك}، {عن جُنُبٍ} عن بعدٍ، وعن جَنابةٍ وعن اجتِنَابٍ واحدٌ. قالَ مجاهد {على قَدَرٍ} موعدٍ. {لاتنِيا}: لا تضعُفا. {يَبَسًا} يابسًا. {من زينةِ القوم}: الحُليِّ الذي استَعاروا من آل فرعَوْنَ. {فقذفتها}: ألقيتها. {ألقى}: صَنَعَ {فنَسِيَ موسى} هم يقولونَهُ أخطأ الرَّبُّ أن لا يَرجِعَ إليهم قولا في العجلِ.

٣٣٩٣ ـ عنْ مالكِ بن صَعْصعةَ «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ حدَّثهم عن ليلةِ أُسْرِيَ بِهِ، حتَّى أتَى السماءَ الخامسةَ فإذَا هارُونُ، قالَ: هذَا هَارونُ فسَلِّمْ عليهِ، فسَلَّمتُ علَيهِ، فرَدَّ ثُمَّ قالَ: مَرْحَبًا بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح».

٢٣ ـ باب
{وقالَ رجُلٌ مؤمنٌ من آلِ فرعَوْنَ يكتُمُ إيْمانَه -إلى قولهِ- مُسرِفٌ كذّاب}

قوله (باب وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه إلى قوله هو مسرف كذاب) واختلف في اسم هذا الرجل .

وعن ابن عباس اسمه حبيب وهو ابن عم فرعون أخرجه عبد بن حميد.

٢٤ ـ باب قول الله تعالى
{هلْ أتاكَ حديثُ موسى -وكَلَّمَ اللهُ موسى تَكْليما}

٣٣٩٤ ـ عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنْهُ قال: «قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: لَيلةَ أُسْرِيَ بي رأيتُ موسى وإذا هوَ رجُلٌ ضَرْبٌ رَجِلٌ كأنَّهُ من رجالِ شنوءَة، ورأيتُ عيسى فإذا هو رجلٌ رَبعة أحمرُ كأنما خرجَ من ديماس، وأنَا أشبَهُ ولدِ إبراهيم ﷺ به. ثمَّ أتيتُ بإناءَينِ في أحدِهما لبنٌ وفي الآخَرِ خمرٌ فقالَ: اشرَبْ أيَّهُمَا شئت، فأخذتُ اللبن فشربتُه، فقيل: أخذتَ الفطْرة، أما إنَّكَ لَوْ أخَذتَ الخمرَ غَوَتْ أمتُكَ».

[الحديث : ٣٣٩٤-أطرافه في: ٣٤٣٧، ٤٧٠٩، ٥٥٧٦، ٥٦٠٣]

٣٣٩٥ ـ عنْ ابن عم نبِّيكم -يعني ابن عبَّاسٍ- عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «لا ينبغي لعبدٍ أن يقول: أنا خيرٌ من يونسَ بن متّى. ونسبَهُ إلى أبيهِ».

[الحديث ٣٣٩٥ - أطرافه في: ٣٤١٣، ٤٦٣٠، ٧٥٣٩]

٣٣٩٦ ـ وذكَر النبيُّ ﷺ ليلةَ أسريَ بِهِ فقال: «مُوسى آدَمُ طُوالٌ كأنَّهُ من رِجَالِ شَنوءة وقالَ: عيسَى جَعدٌ مَربوعٌ، وذكر مالكاً خازِنَ النَّارِ، وذكر الدجّال».

٣٣٩٧ ـ عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضي اللهُ عنهُمَا «إنَّ النبيَّ ﷺ لَمَّا قدِمَ المدينةَ وجدَهم يَصومونَ يومًا -يعني يومَ عاشوراءَ- فقالُوا: هذا يومٌ عظيم، وهو يومٌ نجَّى اللهُ فيه موسى، وأغرَقَ آل فِرْعَوْنَ، فَصَامَ مُوسى شُكْراً لله. فقَالَ: أنَا أَولى بِموسى منهم، فصَامَه وأمَرَ بصيامِهِ».

قوله (رجل) بفتح الراء وكسر الجيم أي دهين الشعر مسترسله.

قوله (كأنه من رجال شنوءة) حي من اليمن ينسبون إلى شنوءة وهو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، قال الداودي رجال الأزد معروفون بالطول انتهى.

قوله (وأنا أشبه ولد إبراهيم به[1]) أي الخليل عليه السلام.

---

(١) في المتن واليونينية وافق الشرح "... إبراهيم "(ﷺ)به اليونينية توافق الشرح

قوله (ثم أتيت بإناءين) سيأتي الكلام عليه في حديث الإسراء في السيرة النبوية[١] إن شاء الله تعالى

٢٥ ـ باب قولِ اللّه تعالى:

{وواعَدْنَاموسى ثلاثين لَيْلَةً وأتممْناها بعشرٍ فتمَّ ميقاتُ ربهِ أربعينَ ليلة، وقال موسى لأخيه هارونَ اخلُفْني في قومي وأصلحْ، ولا تتبعْ سبيلَ المفسدين. ولمَّا جاءَ موسى لِميقاتِنَا وكلمهُ ربُّه قالَ: رب أرِني أنْظر إليكَ، قالَ: لن تراني -إلى قوله- وأنَا أوَّل المؤْمنِينَ}. يُقَال دكَّهُ: زلزَلهُ فدكَّتا، فَدُكِكْنَ جعلَ الجبال كالواحدةِ كمَا قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ {إن السماواتِ والأرضَ كانتا رَتقاً} ولم يَقل كُنَّ رتقاً: مُلتَصقتَين. {أشربوا} ثَوْبٌ مشربٌ مصبوغٌ. قالَ ابن عبَّاسٍ {انبجَسَت: انفجرَت. {وإِذْ نَتَقْنَا الجبل}: رفعنا.

٣٣٩٨ ـ عن أبي سعيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «النَّاسُ يَصعَقونَ يومَ القِيَامَةِ فأكونُ أوَّلَ مَن يُفيقُ، فإذا أنَا بموسى آخذٌ بقائمةٍ من قوائم العرشِ، فلا أدرِي أفاقَ قبلي أم جُوزِيَ بصَعقةِ الطُّورِ».

٣٣٩٩ ـ عنْ أبِي هريرةَ رضِيَ اللهُ عنهُ قال: قالَ النبيُّ ﷺ: «لولا بنُو إسرائيلَ لم يَخنزِ اللحم، ولولا حوَّاءُ لم تخنْ أنثى زوجَهَا الدَّهر».

قوله (وأتممناها بعشر) فيه إشارة إلى أن المواعدة وقعت مرتين.

قوله {صعقا} أي مغشيا عليه.

قوله (أشربوا، ثوب مشرب مصبوغ) يشير إلى أنه ليس من الشرب، وقال أبو عبيدة في قوله تعالى {وأشربوا في قلوبهم العجل} أي سقوه حتى غلب عليهم، وهو من مجاز الحذف أي أشربوا في قلوبهم حب العجل. ومن قال إن العجل أحرق ثم ذري في الماء فشربوه فلم يعرف كلام العرب، لأنها لاتقول في الماء: أشرب فلان في قلبه.

٢٦ ـ باب طُوفانٍ منَ السَّيْلِ

ويقال للموتِ الكثيرِ طوفان {القُمَّلُ} الحمنانُ يشبهُ صِغَارَ الحلم. {حَقيق} حقٌ. {سُقِطَ} كل مَن نَدِمَ فقد سُقِطَ فِي يده.

٢٧ ـ بابُ حديثُ الخضرِ معَ موسى عليهما السَّلام

٣٤٠٠ ـ عنِ ابن عبَّاسٍ أنَّهُ تمارَى هو والحرُّ بن قيسٍ الفَزاريُّ في صاحبِ موسى، قال ابنُ عبَّاسٍ: هُوَ خَضِرٌ، فمرَّ بهما أبيُّ بن كعبٍ، فدَعا ابنُ عبَّاسٍ فقالَ: إنِّي تماريْتُ أنَا وصَاحِبِي هذا في صاحبِ موسى الذي سألَ السبيلَ إلى لقيِّه، هل سمعتَ رسولَ اللهِ ﷺ يَذكرُ شأنه؟ قالَ: نَعَمْ، سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: بينَمَا مُوسى فِي مَلاءٍ من بني

(١) كتاب أحاديث الأنبياء باب / ٤٨ ح ٣٤٣٧ - ٣ / ٥٩

إسرائيلَ جاءَهُ رجُلٌ فقال: هل تعلمُ أحداً أعلمَ منك؟ قال: لا. فأوْحى اللهُ إلى مُوسى: بَلْ عبدُنا خَضِرٌ، فسأل مُوسى السبيلَ إليه، فجُعِلَ لهُ الحوتُ آية، وقيل له: إذا فَقَدْتَ الحوت فارجِعْ فإنَّكَ ستلقاهُ، فَكَانَ يتبعُ الحوتَ في البحر، فقالَ لموسى فتاهُ: أرأيتَ إذ أوَينا إلى الصخرةِ فإني نسيتُ الحوتَ وما أنسانيه إلا الشيطانُ أن أذكُرَهُ. فَقَالَ مُوسَى: ذلكَ مَا كُنَّا نَبْغِي، فَارتدا على آثارِهما قَصَصا، فَوَجَدَا خَضِراً، فَكَانَ من شأنِهما الذي قصَّ اللهُ في كتابه».

٣٤٠١ - عنْ سَعِيد بن جُبَيرٍ قالَ: «قلتُ لابنِ عبَّاسٍ إنَّ نَوفًا البكاليَّ يزعُمُ أنْ مُوسَى صاحبَ الخضرِ لَيْسَ هُوَ موسى بَنِي إسْرائيل، إنما هُوَ مُوسى آخر، فقالَ: كذبَ عدوُّ اللهِ، حدَّثنا أُبيُّ بنُ كعبٍ عنِ النبيِّ ﷺ أنَّ موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل فسُئِلَ: أيُّ الناس أعلَمُ؟ فَقَالَ: أنا. فعتَبَ اللهُ عليْهِ إذْ لَمْ يَرُدَّ العلْمَ إليهِ فقال لَهُ: بَلى، لِي عبدٌ بمَجمعِ البحرَين هوَ أعْلمُ منك. قال: أي رب ومن لي به؟ -ورُبَّما قال سفيان: أي رب وكيف لي به؟- قالَ: تأخذُ حوتًا فتجعَلهُ في مكتَلٍ، حَيثما فَقَدْتَ الحوتَ فهوَ ثَمَّ -وربما قال: فهو ثمَّه- وأخذَ حوتاً فجعلهُ في مِكتَلٍ ثمَّ انطلَقَ هُوَ وَفتاهُ يوشَعُ بن نونٍ حتَّى إذَا أتيا الصخرةَ وضَعا رُءوسَهما، فرَقدَ موسى، واضْطرَبَ الحوتُ فَخَرَجَ فسقطَ في البحرِ، فاتَّخذ سبيلَهُ في البحر سَرَبا، فأمسَكَ اللهُ عنْ الحوتِ جِريةَ الْماء فصار مثلَ الطاقِ - فقالَ هكذا مثلُ الطاقِ- فانطَلَقا يَمشيانِ بقيةَ ليلتهما ويومَهما، حتى إذَا كَانَ منَ الْغد قال لفتاهُ. آتنا غَداءَنا لقَدْ لقينا من سَفَرِنا هَذَا نَصَبا. ولَمْ يَجد موسى النَّصبَ حتَّى جَاوزَ حيثُ أمرهُ اللهُ. قالَ لهُ فتاهُ: أرأيتَ إذْ أوينَا إلى الصخرةِ فإني نَسيتُ الْحوتَ، وما أنسانيهِ إلا الشيطانُ أن أذكرَه، واتَّخَذَ سبيلَهُ في البحرِ عجَبا، فَكانَ للحوت سَرَبا ولهما عجَبًا. قالَ لهُ موسَى: ذلِكَ مَا كُنَّا نبغي، فارتَدَّا عَلَى آثارِهِمَا قَصَصا -رَجَعا يَقُصَّانِ آثارَهِمَا- حتَّى انتَهَيا إلى الصخرةِ، فإذا رجُلٌ مُسَجًّى بثَوْبٍ، فَسلَّمَ موسى، فرد عليه فقالَ: وأنَّى بأرْضِكَ السَّلام قالَ: أنَا مُوسى، قالَ: موسى بَنِي إسْرائيلَ؟ قال: نعم، أتيتُكَ لِتُعَلِّمني مما عُلِّمتَ رُشدا. قال: يا موسى إني على علم من عِلم اللهِ علَّمنيهِ اللهُ لا تعلَمُه، وأنتَ على علمٍ من علم الله علَّمكَهُ اللهُ لا أعلمهُ. قَالَ هَلْ أتَّبِعُك؟ قال: إنَّكَ لن تَسْتَطيعَ معيَ صَبرا، وكَيف تَصبرُ عَلَى مَالَمْ تُحِطْ بِهِ خُبرا -إلى قوله- إمْراً. فانطلقا يمشيانِ على ساحِلِ البحرِ فمرَّتْ بهما سفينةٌ كلموهم أن يَحْمِلوهم، فعرفوا الخضرَفحملوهُ بغيرِ نولٍ. فلمَّا ركبا في السفينةِ جاءَ عُصفورٌ فوقَعَ عَلَى حرفِ السفينةِ، فنقَرَ فِي الْبحر نَقرةً أوْ نقرتَيْنِ، قال له الخضرُ: يَا مُوسى، مَا نَقَصَ عِلمي وعلمُكَ من علمِ اللهِ إلا مثلَ

مَا نقصَ هذَا العُصفورُ بمنقارٍ منَ البحر. إذ أخذَ الفأس فنزعَ لوحًا، قالَ فلَم يفجَأ موسى إلا وقد قَلعَ لوحاً بالقَدُوم، فقال له موسى: ما صَنَعتَ؟ قومٌ حَمَلونا بغيرِ نولٍ عَمَدْتَ إلَى سفينتِهِمْ فَخرقْتَها لتغرقَ أهْلَهَا، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إمْرا. قال: ألم أقُلْ لكَ إنَّك لَن تستطيعَ معيَ صَبرا؟ قال لا تُؤاخِذْني بِمَا نسيتُ، ولا ترهقني مِن أمري عسرا. فكانتِ الأولى من موسى نسياناً. فلَمَّا خَرَجا من البحرِ مرُّوا بغُلامٍ يلعب مع الصِّبيان، فأخذَ الخضر برَأسِهِ فقلعَه بيَدِهِ هكَذَا -وأومأَ سفيانُ بأطرافِ أصابعهِ كأنَهُ يَقطِف شيئا- فقالَ لهُ موسى: أقتلت نفساً زكيَّة بغير نفس؟ لقد جِئتَ شيئاً نُكرا. قال: ألم أقُلْ لكَ إنَّكَ لنْ تَستَطِيعَ مَعِيَ صبرا؟ قالَ إن سألتكَ عن شيءٍ بَعدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي، قَدْ بَلغتَ من لَدُنِّي عُذرا. فانْطَلَقَا حَتَّى إذَا أَتَيَا أَهْلَ قريةٍ استَطْعما أهْلَهَا، فأبوا أن يُضيِّفوهما، فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أن يَنْقَضَّ مائلا -أومأَ بيدِهِ هكَذَا، وأشَارَ سفيانُ كأنَّهُ يمسَحُ شيئاً إلى فوق، فلم أسمع يذكر «مائلا» إلا مرَّةً- قالَ: قَوْمٌ أتيناهم فلم يُطعمونا ولم يضيِّفونا، عَمَدْتَ إلَى حائطهم، لو شئتَ لاتخَذتَ عليهِ أجرا. قال هذا فِراقُ بيني وبَينَك، سَأُنَبِّئُكَ بِتَأويلِ ما لم تَسْتطعْ عليه صبرا. قال النبيُّ ﷺ: ودِدْنا أنَّ موسَى كانَ صبَرَ فقَصَّ اللهُ علَيْنَا من خبرهما. قال سفيان: قال النبيُّ ﷺ: يرحمُ اللهُ موسى لو كان صبَر يُقصُّ عَلَينَا من أمرهما: وقرأ ابن عبَّاسٍ: أمَامَهُمْ مَلِكٌ يأخذُ كلَّ سفينة صالحةٍ غصبًا. وأما الغلامُ فكان كافراً وكان أبواهُ مؤمنين. ثم قال لي سفيانُ: سمعتُهُ منهُ مرَّتين وحفظتهُ منه. قيل لسفيان: حفظتَهُ قبلَ أن تَسْمَعَهُ من عمرو أو تحفَّظتَهُ من إنسان؟ فَقَالَ: مِمَّنْ أتحفَّظُهُ، ورواهُ أحدٌ عن عمروٍ غيري سمعتُه منه مرَّتين أو ثلاثًا وحفظتهُ منه».

٣٤٠٢ - عنْ أبِي هريرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّما سُمِّيَ الخضرَ لأنَهُ جَلسَ عَلَى فروةٍ بيضاء، فإذا هِيَ تهتزُّ مِنْ خلفهِ خضراء»: قال الحَمَويُّ قال محمدُ بن يوسفَ بن مطر الفربريُّ: حدثنا عليُّ بن خَشرَمٍ عن سفيانَ بطوله.

قوله (باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام) ذكر فيه حديث ابن عباس عن أبي بن كعب من وجهين، وسيأتي أولهما بأتم من سياقه في تفسير سورة الكهف[١] ونستوفي شرحه هناك، وقال الحربي: الفروة من الأرض قطعة يابسة من حشيش. وعن ابن الأعرابي: الفروة أرض بيضاء ليس فيها نبات، وبهذا جزم الخطابي ومن تبعه، وحكى ابن عطية البغوي عن أكثر أهل العلم أنه نبي ثم اختلفوا هل هو رسول أم لا؟، وقال القرطبي: هو نبي عند الجمهور والآية تشهد بذلك، لأن النبيَّ ﷺ لا يتعلم ممن هو دونه، ولأن الحكم بالباطن لا يطلع عليه إلا الأنبياء، وقال ابن الصلاح هو حي عند جمهور العلماء والعامة معهم في

(١) كتاب التفسير "الكهف" باب / ٣ ح ٤٧٢٦ - ٣ / ٥٩٣

ذلك، وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين. وتبعه النووي وزاد أن ذلك متفق عليه بين الصوفية وأهل الصلاح، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به أكثر من أن تحصر انتهى. والذي جزم بأنه غير موجود الآن البخاري وابراهيم الحربي وأبو جعفر بن المنادي وأبو يعلى بن الفراء وأبو طاهر العبادي وأبو بكر ابن العربي وطائفة، وعمدتهم الحديث المشهور عن ابن عمر وجابر وغيرهما أن النبي ﷺ قال في آخر حياته: «لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم أحد» قال ابن عمر: أراد بذلك انخرام قرنه. وأجاب من أثبت حياته بأنه كان حينئذ على وجه البحر، أو هو مخصوص من الحديث كما خص منه إبليس بالاتفاق. ومن حجج من أنكر ذلك قوله تعالى {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد} وحديث ابن عباس «مابعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه» أخرجه البخاري ولم يأت في خبر صحيح أنه جاء إلى النبي ﷺ ولا قاتل معه، وقد قال: ﷺ يوم بدر «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض» فلو كان الخضر موجودا لم يصح هذا النفي، وقال ﷺ «رحم الله موسى لوددنا لو كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما» فلو كان الخضر موجودا لما حسن هذا التمني ولأحضره بين يديه وأراه العجائب وكان أدعى لإيمان الكفرة لا سيما أهل الكتاب.

٢٨ باب * ٣٤٠٣ ـ عن أبي هُرَيرَةَ رضِيَ اللّهُ عنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«قِيلَ لبني إسرائيلَ ادخُلوا البابَ سُجَّداً وقولوا حِطّة، فبدَّلوا ودخلوا يزحَفونَ عَلَى أستاهِهِم وقالوا حَبَّة في شَعرة».

[الحديث ٣٤٠٣ - طرفاه في: ٤٤٧٩، ٤٦٤١]

٣٤٠٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضِيَ اللّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسُولُ الله ﷺ «إنَّ موسَى كَانَ رجُلا حييّاً ستِّيراً لا يُرَى من جلدِهِ شيء استحياءً منه، فآذاهُ من آذاهُ من بني إسرائيلَ فقالوا: مَا يَستَتِرُ هذا التَستُّرَ إلا من عَيبٍ بجلدِهِ: إمَّا بَرص وإما أدرَة، وإما آفة. وإنَّ اللّهَ أرادَ أن يُبرِّئه مما قالوا لموسى، فخلا يومًا وَحدَهُ فوضَعَ ثيابهُ على الحجَرِ ثُمَّ اغتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أقبَلَ إلى ثيابِهِ ليأخذَها، وإنَّ الحجر عَدَا بثَوْبِهِ، فأخذ مُوسى عَصَاهُ وطَلَبَ الحَجَر فَجَعَلَ يقُولُ: ثَوْبي حَجَر، ثوبي حَجَر. حتى انتهى إلى ملأٍ مِنْ بني إسرائيلَ فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ ماخلق الله وأبرأهُ مما يقولونَ وقَامَ الحجرُ، فأخذَ ثوبَهُ فلبسَه، وطفِقَ بالحجرِ ضرباً بعصاهُ، فواللّهِ إنَّ بالحجرِ لندباً من أثرِ ضربِهِ ثلاثاً أوْ أربَعًا أوْ خَمسًا فذلكَ قَوْلُهُ: {يا أيُّهَا الذينَ آمَنُوا لا تَكونُوا كالَّذِينَ آذَوا مُوسَى فبرّأهُ اللهُ مِمَّا قالوا، وكَانَ عِنْدَ اللهِ وجِيهًا}.[٦٩ ـ الأحزاب]

٣٤٠٥ ـ عنْ عَبْدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «قَسَمَ النَّبيُّ ﷺ قسمًا، فقالَ رجُلٌ: إنَّ هذهِ لقسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وجهُ اللهِ. فأتيْتُ النبيَّ ﷺ فأخْبَرْتُهُ، فغضِبَ حتَّى رأَيتُ الغَضَبَ فِي وجْهِهِ، ثُمَّ قالَ: يَرْحَمُ اللهِ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بأكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ».

قوله (لا يرى من جلده شيء استحياء منه) هذا يشعر بأن اغتسال بني إسرائيل عراة بمحضر منهم كان جائزا في شرعهم. وإنما اغتسل موسى وحده استحياء.

قوله (وإما أدرة) تقدم بيانه في كتاب الغسل.

قوله (فخلا يوما وحده فوضع ثيابه) وظاهره أنه دخل الماء عريانا.

قوله (عدا بثوبه) أي مضى مسرعا.

قوله (ثوبي حجر، ثوبي حجر) هو بفتح الياء الأخيرة من ثوبي أي أعطني ثوبي، أو رد ثوبي، وحجر بالضم على حذف حرف النداء، وتقدم في الغسل بلفظ ثوبي يا حجر، وفي الحديث جواز المشي عريانا للضرورة، وقال ابن الجوزي: لما كان موسى في خلوة وخرج من الماء فلم يجد ثوبه تبع الحجر بناء على أن لا يصادف أحداً وهو عريان، فاتفق أنه كان هناك قوم فاجتاز بهم، كما أن جوانب الأنهار وإن خلت غالبا لا يؤمن وجود قوم قريب منها، فبنى الأمر على أنه لا يراه أحد لأجل خلاء المكان، فاتفق رؤية من رآه. والذي يظهر أنه استمر يتبع الحجر على ما في الخبر حتى وقف على مجلس لبني إسرائيل كان فيهم من قال فيه ما قال. وبهذا تظهر الفائدة، وإلا فلو كان الوقوف على قوم منهم في الجملة لم يقع ذلك الموقع. وفيه جواز النظر إلى العورة عند الضرورة الداعية لذلك من مداواة أو براءة من عيب، كما لو ادعى أحد الزوجين على الآخر البرص ليفسخ النكاح فأنكر. وفيه أن الأنبياء في خَلقهم وخلقهم على غاية الكمال، وأن من نسب نبيا من الأنبياء إلى نقص في خلقته فقد آذاه ويخشى على فاعله الكفر. وفيه معجزة ظاهرة لموسى عليه السلام، وأن الآدمي يغلب عليه طباع البشر، لأن موسى علم أن الحجر ما سار بثوبه إلا بأمر من الله، ومع ذلك عامله معاملة من يعقل حتى ضربه. ويحتمل أنه أراد بيان معجزة أخرى لقومه بتأثير الضرب بالعصا في الحجر. وفيه ما كان في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الصبر على الجهال واحتمال أذاهم، وجعل الله تعالى العاقبة لهم على من آذاهم.

٢٩ ـ باب يَعكفُونَ على أصْنَامٍ لهُمْ

/الأعراف: ١٣٨/ {متبَّرٌ}: خُسرانٌ. {وليُتَبِّروا}: يُدمِّروا. {ماعَلَوا}: ما غَلبوا

٣٤٠٦ ـ عن جَابِرِ بن عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُمَا قالَ: «كنَّا مَعَ رَسولِ اللهِ ﷺ نَجْنِي الكَبَاثَ، وإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: عَليكُمْ بالأسْودِ منه فإنَّهُ أطْيَبُهُ. قَالوا: أكُنْتَ تَرْعَى

الْغَنَمَ؟ قالَ: وهَلْ من نبيٍّ إلا وقدْ رعَاهَا»؟.

[الحديث ٣٤٠٦ - طرفه في: ٥٤٥٣]

قوله (الكباث) هو ثمر الأراك ويقال ذلك للنضيج منه، كذا نقله النووي عن أهل اللغة. ومناسبة حديث جابر لقصص موسى من جهة عموم قوله «وهل من نبي إلا وقد رعاها» فدخل فيه موسى، بل وقع في بعض طرق هذا الحديث «ولقد بعث موسى وهو يرعى الغنم» وذلك فيما أخرجه النسائي في التفسير من طريق أبي إسحق عن نصر بن حزن قال: «افتخر أهل الإبل والشاء، فقال النبي ﷺ: بعث موسى وهو راعي غنم» الحديث. ورجال إسناده ثقات، والذي قاله الأئمة أن الحكمة في رعاية الأنبياء للغنم ليأخذوا أنفسهم بالتواضع، وتعتاد قلوبهم بالخلوة، ويترقوا من سياستها إلى سياسة الأمم.

٣٠ - باب {وإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ إنَّ اللّهَ يأمُرُكُم أنْ تذْبَحُوا بَقَرَةً} الآية [٦٧ البقرة]

قالَ أبُو العالية: العَوانُ النَّصَفُ بينَ البِكْرِ والهَرِمَة. {فاقعٌ}: صافٍ. {لاذلُولٌ} لم يُذلَّها العملُ {تُثير الأرضَ}: ليْستْ بذَلُولٍ تثيرُ الأرْضَ ولا تَعْمَلُ في الحرث. {مُسَلَّمةٌ}: من العيُوب. {لاشِيَةَ} بياضٌ. {صفْراءُ}: إنْ شئْتَ سوْداءُ وَيُقالُ صَفْراءُ كَقَوْله {جمَالاتٌ صفْرٌ}. {فادّارَأْتُمْ}: اخْتَلَفْتُمْ.

قوله (باب وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة الآية) وقصة البقرة أوردها آدم بن أبي إياس في تفسيره قال: حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله تعالى {إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة} قال: كان رجل من بني إسرائيل غنيا ولم يكن له ولد وكان له قريب وارث فقتله ليرثه ثم ألقاه على مجمع الطريق، وأتى موسى فقال إن قريبي قتل وأتى إلى أمر عظيم، وإني لا أجد أحدا يبين لي قاتله غيرك يا نبي الله، فنادى موسى في الناس: من كان عنده علم من هذا فليبينه، فلم يكن عندهم علم، فأوحى الله إليه: قل لهم فليذبحوا بقرة، فعجبوا وقالوا: كيف نطلب معرفة من قتل هذا القتيل فنؤمر بذبح بقرة؟ وكان ما قصه الله تعالى قال: {إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر} يعني لا هرمة ولا صغيرة {عوان بين ذلك} أي نصف بين البكر والهرمة {قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها، قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها} أي صاف {تسر الناظرين} أي تعجبهم {قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي} الآية {قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول -أي لم يذلها العمل- تثير الأرض} يعني ليست بذلول فتثير الأرض {ولا تسقى الحرث} يقول: ولا تعمل في الحرث {مسلمة} أي من العيوب، {لا شية فيها -أي لا بياض- قالوا الآن جئت بالحق} قال ولو أن القوم حين أمروا بذبح بقرة استرضوا أي بقرة

كانت لأجزأت عنهم، ولكنهم شددوا فشدد عليهم، ولولا أنهم استثنوا فقالوا {وإنا إن شاء الله لمهتدون} لما اهتدوا إليها أبدا، فبلغنا أنهم لم يجدوها إلا عند عجوز، فأغلت عليهم في الثمن، فقال لهم موسى: أنتم شددتم على أنفكسم فأعطوها ما سألت، فذبحوها، فأخذوا عظمًا منها فضربوا به القتيل فعاش فسمى لهم قاتله، ثم مات مكانه فأخذ قاتله، وقريبه الذي كان يريد أن يرثه فقتله الله على أسوأ عمله.

٣١ ـ باب وفاة مُوسى، وذِكْرُهُ بعدُ

٣٤٠٧ ـ عنْ أبِي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنْهُ قالَ: «أرْسلَ مَلَكُ المَوْت إلى مُوسَى عَليهمَا السلامُ، فلمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إلى ربِّه فقالَ: أرْسلْتَني إلى عَبْدٍ لا يُريدُ المَوْتَ. قالَ: ارْجعْ إليهِ فَقُلْ لَهُ يَضَعْ يَدَهُ على مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِمَا غَطَّى يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرةٍ سَنَةٌ. قالَ: أيْ ربِّ، ثمَّ ماذَا؟ قالَ: ثُم المَوْتُ. قالَ: فالآن. قالَ فَسَألَ الله أنْ يُدْنيهُ مِنَ الأرْض المُقَدَّسَة رمْيَةً بِحجرٍ. قالَ أبو هريرَةَ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: لَوْ كُنْتُ ثَمَّ لأرَيْتُكُمْ قبْرَهُ إلى جَانب الطَّرِيقِ تَحْتَ الكَثِيب الأحْمَرِ.

٣٤٠٨ ـ عنْ أبِي هُرَيرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «استَبَّ رجُلٌ مِنَ المُسْلمينَ ورَجُلٌ من اليَهود، فقالَ المُسْلمُ: والذي اصْطَفَى مُحَمَّداً ﷺ على العَالمِين -في قَسَمٍ يُقْسِمُ به- فقالَ اليَهوديُّ: والذي اصْطَفَى مُوسى عَلى العالمين. فَرَفَعَ المُسْلم عِنْدَ ذَلِكَ يدهُ فَلَطَمَ اليَهُودِيَّ، فَذَهَبَ اليهودِيُّ إلى النبيِّ ﷺ فأخْبَرَهُ الذي كَانَ مِنْ أمْرِهِ وَأمْرِ المُسْلمِ، فقالَ: لا تُخيِّروني على مُوسى، فإنَّ النَّاسَ يصْعَقُونَ فأكُونَ أوَّلَ منْ يُفِيقُ، فإذَا مُوسى باطِشٌ بجَانِبِ العَرْشِ، فَلا أدْرِي أكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فأفَاقَ قبْلي، أوْ كانَ مِمَّنْ استَثْنَى اللهُ».

٣٤٠٩ ـ عنْ أبِي هُرَيرَةَ قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ : «احْتَجَّ آدَمُ ومُوسَى، فقالَ لَهُ مُوسى: أنْتَ آدَمُ الَّذِي أخْرَجَتْكَ خطيئَتُكَ منَ الجَنَّة. فقالَ لهُ آدَمُ: أنْتَ مُوسَى الَّذي إصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالاته وَبِكلامه ثُمَّ تَلومُني على أمْرٍ قُدِّرَ عليَّ قَبْلَ أنْ أُخْلَقَ؟ فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : فَحَجَّ آدمُ مُوسَى مرَّتَيْنِ».

[الحديث ٣٤٠٩ - أطرافه في: ٤٧٣٦ ٤٧٣٨، ٦٦١٤، ٧٥١٥]

٣٤١٠ ـ عنِ ابن عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُمَا قالَ: «خَرَجَ عَلينَا النَّبيُّ ﷺ يوْمًا فَقَالَ: عُرِضَتْ عليَّ الأُمَمُ، وَرَأيتُ سَوَاداً كَثِيراً سَدَّ الأفقَ، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى فِي قَوْمِهِ».

[الحديث ٣٤١٠ - أطرافه في: ٥٧٠٥، ٥٧٥٢، ٦٤٧٢، ٦٥٤١]

قوله (أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام فلما جاءه صكه) أي ضربه على عينه، وفي رواية همام عن أبي هريرة عند أحمد ومسلم «جاء ملك الموت إلى موسى فقال: أجب

ربك، فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها».

قوله (لا يريد الموت) زاد همام «وقد فقأ عيني فرد الله عليه عينه» وفي رواية عمار «فقال يا رب عبدك موسى فقأ عيني، ولولا كرامته عليك لشققت عليه».

قوله (على متن) هو الظهر.

قوله (فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر) قد تقدم شرح ذلك وبيانه في الجنائز(١).

قوله (فلو كنت ثم(٢)) أي هناك.

قوله (تحت الكثيب الأحمر) والكثيب: الرمل المجتمع.

قال ابن خزيمة: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وقالوا إن كان موسى عرفه فقد استخف به، وإن كان لم يعرفه فكيف لم يقتص له من فقء عينه؟ والجواب أن الله لم يبعث ملك الموت لموسى وهو يريد قبض روحه حينئذ، وإنما بعثه إليه اختباراً وإنما لطم موسى ملك الموت لأنه رأى آدميا دخل داره بغير إذنه ولم يعلم أنه ملك الموت، وقد أباح الشارع فقء عين الناظر في دار المسلم بغير إذن، وقد جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط في صورة آدميين فلم يعرفاهم ابتداء،ولو عرفهم إبراهيم لما قدم لهم المأكول، ولو عرفهم لوط لما خاف عليهم من قومه. وعلى تقدير أن يكون عرفه فمن أين لهذا المبتدع مشروعية القصاص بين الملائكة والبشر؟ ثم من أين له أن ملك الموت طلب القصاص من موسى فلم يقتص له؟ ولخص الخطابي كلام ابن خزيمة وزاد فيه أن موسى دفعه عن نفسه لما ركب فيه من الحدة» وأن الله رد عين ملك الموت ليعلم موسى أنه جاءه من عند الله فلهذا استسلم حينئذ. وقال النووي لا يمتنع أن يأذن الله لموسى في هذه اللطمة امتحانا للملطوم. وقال غيره إنما لطمه لأنه جاء لقبض روحه من قبل أن يخيره، لما ثبت أنه لم يقبض نبي حتى يخير، فلهذا لما خيره في المرة الثانية أذعن، قيل: وهذا أولى الأقوال بالصواب، وفيه نظر لأنه يعود أصل السؤال فيقال: لم أقدمَ ملك الموت على قبض نبي الله وأخل بالشرط؟ فيعود الجواب أن ذلك وقع امتحانًا.

وفيه أن الملك يتمثل بصورة الإنسان، وقد جاء ذلك في عدة أحاديث. وفيه فضل الدفن في الأرض المقدسة.

قوله (فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم اليهودي) أي عند سماعه قول اليهودي «والذي اصطفى موسى على العالمين» وإنما صنع ذلك لما فهمه من عموم لفظ العالمين فدخل فيه محمد ﷺ، وقد تقرر عند المسلم أن محمد أفضل، وقد جاء ذلك مبينا في حديث أبي سعيد أن

(١) كتاب الجنائز باب / ٦٨ ح ١٣٣٩ - ١ / ٦٧٤

(٢) رواية الباب واليونينية "لو كنتم ثم"

الضارب قال لليهودي حين قال ذلك «أي خبيث على محمد» فدل على أنه لطم اليهودي عقوبة له على كذبه عنده.

قوله (فأخبره الذي كان من أمر المسلم) وفي رواية ابن الفضل «فقال -أي اليهودي- يا أبا القاسم إن لي ذمة وعهدا فما بال فلان لطم وجهي؟ فقال: لم لطمت وجهه؟ -فذكره- فغضب النبي ﷺ حتى رؤي في وجهه».

قوله (فإذا موسى باطش بجانب العرش) أي آخذ بشيء من العرش بقوة، والبطش الأخذ بقوة.

(تكميل): زعم ابن حزم أن النفخات يوم القيامة أربع: الأولى: نفخة إماتة يموت فيها من بقي حيا في الأرض، والثانية: نفخة إحياء يقوم بها كل ميت وينشرون من القبور ويجمعون للحساب، والثالثة: نفخة فزع وصعق يفيقون منها كالمغشي عليه لا يموت منها أحد، والرابعة: نفخة إفاقة من ذلك الغشي. وهذا الذي ذكره من كون الثنتين أربعا ليس بواضح بل هما نفختان فقط، ووقع التغاير في كل واحدة منهما باعتبار من يستمعها، فالأولى يموت بها كل من كان حيا ويغشى على من لم يمت ممن استثنى الله، والثانية يعيش بها من مات ويفيق بها من غشي عليه والله أعلم. قال العلماء في نهيه ﷺ عن التفضيل بين الأنبياء: إنما نهى عن ذلك من يقوله برأيه لا من يقوله بدليل أو من يقوله بحيث يؤدي إلى تنقيص المفضول أو يؤدي إلى الخصومة والتنازع، أو المراد لا تفضلوا بجميع أنواع الفضائل بحيث لا يترك للمفضول فضيلة، فالإمام مثلا إذا قلنا إنه أفضل من المؤذن لا يستلزم نقص فضيلة المؤذن بالنسبة إلى الأذان، وقيل النهي عن التفضيل إنما هو في حق النبوة نفسها كقوله تعالى {لا نفرق بين أحد من رسله} ولم ينه عن تفضيل بعض الذوات على بعض لقوله {تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض}. وقال الحليمي الأخبار الواردة في النهي عن التخيير إما هي في مجادلة أهل الكتاب وتفضيل بعض الأنبياء على بعض بالمخايرة، لأن المخايرة، إذا وقعت بين أهل دينين لا يؤمن أن يخرج أحدهما إلى الازدراء بالآخر فيفضي إلى الكفر. فأما إذا كان التخيير مستنداً إلى مقابلة الفضائل لتحصيل الرجحان فلا يدخل في النهي، وفيه أن أمة موسى أكثر الأمم بعد أمة محمد ﷺ.

٣٢ ـ باب قول الله تعالى {وضَرَبَ اللهُ مثلاً للَّذين آمَنُوا امْرَأَةَ فرْعَوْنَ إلَى قوْله- وكانَتْ منَ الْقَانتينَ} /١١ التحريم/

٣٤١١ ـ عنْ أبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عنْهُ قالَ: «قالَ رسولُ الله ﷺ «كَملَ منَ الرِّجَالِ كَثيرٌ، ولَمْ يَكمُلْ منَ النِّسَاءِ إلا آسيةُ إمْرَأَةُ فرْعَوْنَ ومريمُ بنْتُ عمْرَانَ، وإنَّ فضْلَ

عائشةَ على النِّساءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائرِ الطَّعامِ».

[الحديث ٣٤١١ - أطرافه في: ٣٤٣٣، ٣٧٦٩، ٥٤١٨]

قوله (باب قول الله تعالى: {وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون -إلى قوله- وكانت من القانتين}) والغرض من هذه الترجمة ذكر آسية وهي بنت مزاحم امرأة فرعون، قيل إنها من بني إسرائيل وإنها عمة موسى، وأما مريم فسيأتي ذكرها مفردا بعد.

قوله (ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران) استدل بهذا الحصر على أنهما نبيتان لأن أكمل النوع الإنساني الأنبياء ثم الأولياء والصديقون والشهداء، فلو كانتا غير نبيتين للزم ألا يكون في النساء ولية ولا صديقة ولا شهيدة، والواقع أن هذه الصفات في كثير منهن موجودة فكأنه قال ولم ينبأ من النساء إلا فلانة وفلانة، ولو قال لم تثبت صفة الصديقة أو الولاية أو الشهادة إلا لفلانة وفلانة لم يصح لوجود ذلك في غيرهن، إلا أن يكون المراد في الحديث كمال غير الأنبياء فلا يتم الدليل على ذلك لأجل ذلك والله أعلم. وعلى هذا فالمراد مَنْ تقدم زمانه ﷺ ، ولم يتعرض لأحد من نساء زمانه إلا لعائشة، وليس فيه تصريح بأفضلية عائشة رضي الله عنها على غيرها لأن فضل الثريد على غيره من الطعام إنما هو لما فيه من تيسير المؤنة وسهولة الإساغة، وكان أجل أطعمتهم يومئذ، وكل هذه الخصال لا تستلزم ثبوت الأفضلية له من كل جهة، فقد يكون مفضولا بالنسبة لغيره من جهات أخرى.

قال القرطبي الصحيح أن مريم نبية لأن الله تعالى أوحى إليها بواسطة الملك، وأما آسية فلم يرد ما يدل على نبوتها. وقال الكرماني: لا يلزم من لفظ الكمال ثبوت نبوتها لأنه يطلق لتمام الشيء وتناهيه في بابه، فالمراد بلوغها النهاية في جميع الفضائل التي للنساء. قال: وقد نقل الإجماع على عدم نبوة النساء، كذا قال، وقد نقل عن الأشعري أن من النساء من نبيء وهن ست: حواء وسارة وأم موسى وهاجر وآسية ومريم، والضابط عنده أن من جاءه الملك عن الله بحكم من أمر أو نهي أو بإعلام مما سيأتي فهو نبي، وقد ثبت مجيء الملك لهؤلاء بأمور شتى من ذلك من عند الله عز وجل، ووقع التصريح بالإيحاء لبعضهن في القرآن. وذكر ابن حزم في «الملل والنحل» أن هذه المسألة لم يحدث التنازع فيها إلا في عصره بقرطبة، وحكى عنهم أقوالا ثالثها الوقف، قال: وحجة المانعين قوله تعالى {وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا} قال: وهذا لا حجة فيه فإن أحدا لم يدع فيهن الرسالة، وإنما الكلام في النبوة فقط. قال: وأصرح ما ورد في ذلك قصة مريم، وفي قصة أم موسى ما يدل على ثبوت ذلك لها من مبادرتها بإلقاء ولدها في البحر بمجرد الوحي إليها

بذلك، قال: وقد قال الله تعالى بعد أن ذكر مريم والأنبياء بعدها {أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين} فدخلت في عمومه والله أعلم.

٣٣ ـ باب {إنَّ قارونَ كانَ من قومِ موسى} الآية /٧٦ القصص/

{لَتَنُوءَ} لَتُثْقِلُ. قالَ ابن عباسٍ {أُولِي القوةِ}: لا يَرفَعُها العُصبَةُ منَ الرِّجالِ. يُقال {الفَرِحينَ}: المرِحينَ. {ويْكأنَّ الله} مثلُ {ألَمْ تَرَ أنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يشاءُ ويَقْدِرُ} ويُوسِّعُ عَلَيهِ ويُضَيِّق.

قوله (باب إن قارون كان من قوم موسى الآية) هو قارون بن يصفد بن يصهر ابن عم موسى، واختلف في تفسير بغي قارون فقيل: الحسد، لأنه قال: ذهب موسى وهارون بالأمر فلم يبق لي شيء. وقيل الكبر، لأنه طغى بكثرة ماله.

قوله (الفرحين: المرحين) هو تفسير ابن عباس، والمعنى أنهم يبطرون فلا يشكرون الله على نعمه، وقد أخرج ابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن ابن عباس قال كان موسى يقول لبني إسرائيل إن الله يأمركم بكذا حتى دخل عليهم في أموالهم فشق ذلك على قارون فقال لبني إسرائيل إن موسى يقول: من زنى رجم، فتعالوا نجعل لبغي شيئاً حتى تقول إن موسى فعل بها فيرجم فنستريح منه، نفعلوا ذلك، فلما خطبهم موسى قالوا له: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا. فقالوا: فقد زنيت، فجزع. فأرسلوا إلى المرأة فلما جاءت عظم عليها موسى، وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل إلا صدقت، فأقرت بالحق، فخر موسى ساجدا يبكي، فأوحى الله إليه: إني أمرت الأرض أن تطيعك فأمرها بما شئت، فأمرها فخسفت بقارون ومن معه.

٣٤ ـ باب قَوْلِ الله تعالَى:

/٨٥ الأعراف، ٨٤ هود، ٣٦ العنكبوت/ {وإلى مَدْيَنَ أخَاهُمْ شُعَيباً} إلى أهْلِ مَدْيَنَ، لأنَّ مَدْيَنَ بلَدٌ، ومِثْلُهُ {واسألِ القَرْيَةَ، واسْألِ العيرَ} يَعني أهْلَ القَرْيَةِ وأهْلَ العِير. {وراءَكُمْ ظِهْرِيًا} لم يَلتَفِتوا إليهِ يُقالُ إذا لمْ تُقْضَ حَاجتهُ ظَهَرْتَ حَاجَتي، وجَعَلْتَني ظِهرِيًا. قالَ: الظِّهْرِيُّ أنْ تأخُذَ معكَ دابَّةً أوْ وِعاءً تَستَظهِرُ به. {مَكَانَتُهُمْ} ومَكَانَهُمْ واحدٌ. {يَغْنَوا} يَعيشُوا {يَأيَسُ} يَحزنُ. {آسَى}: أحْزَنُ. وقَالَ الحسن {إنك لأنت الحليم} يستهزئون به. وقال مجاهد {ليكة}: الأيكة. {يوم الظلة}: إظلال الغمامِ العذابَ عليهم.

قوله (باب قول الله تعالى: وإلى مدين أخاهم شعيبا) وكان مدين ممن آمن بإبراهيم لما أحرق. وروى ابن حبان في حديث أبي ذر الطويل «أربعة من العرب: هود وصالح وشعيب ومحمد» فعلى هذا هو من العرب العاربة.

٣٥ ـ باب قول الله تعالى:

{وإنَّ يُونُسَ لَمنَ المُرْسلين -إلى قوله- فمتعناهم إلى حِينَ} -إلى قَوْلِه- وَهُوَ مُليم} قالَ مُجَاهد: مذنب. المشحون: الموقر. {فَلَوْ لا أَنَّهُ كانَ من المُسبِّحين} الآية /١٣٩ الصافات/: {فنَبَذْنَاهُ بالعَرَاءِ} بوجه الأرض {وهُوَ سقيمٍ وأنْبَتْنَا عَليه شَجَرَةً من يَقْطِين} منْ غَيْر ذات أصل، الدباء ونحوهُ. {وأرْسَلْنَاهُ إلى مَائَةِ ألفٍ أوْ يَزيدُونَ، فآمنوا فمتعناهم إلى حين}.

/٤٨ القلم/: {ولا تكُنْ كصَاحب الحُوت إذْ نادى وَهُوَ مكْظُومٌ}، {كظيمٌ}: وهُوَ مَغْمُومٌ

٣٤١٢ ـ عنْ عبدِ اللّه رضيَ اللّهُ عنهُ عنِ النبيِّ ﷺقال: «لا يَقُولَنَّ أحَدكُمْ إنِّي خَيرٌ منْ يُونُسَ» زَادَ مُسَدَّدٌ «يُونُس بن مَتَّى».

[الحديث ٣٤١٢ - طرفاه في: ٤٦٠٣، ٤٨٠٤]

٣٤١٣ ـ عَنْ ابن عبَّاسٍ رضيَ اللّهُ عنهُمَا عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «مَا يَنْبَغِي لعَبْدٍ أنْ يَقُولَ إنِّي خَيْرٌ منْ يُونُس بن مَتَّى. ونَسَبَهُ إلى أبيه».

٣٤١٤ ـ عنْ أبِي هُريرَةَ رضي اللّهُ عنهُ قالَ: «بيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سلْعَتهُ أعْطي بهَا شَيئًا كَرِهَهُ، فقالَ: لا وَالّذي إصْطَفَى موسَى على البَشَرِ، فَسَمِعَهُ رجُلٌ منَ الأنْصارِ فقامَ فَلَطَمَ وَجْهَهُ وقَالَ: تَقُولُ والّذي اصْطفى موسَى على البَشَرِ والنبيُّ ﷺ بَيْنَ أظْهُرِنَا؟ فَذَهَبَ إليهِ فَقَالَ. أبَا القَاسِمْ، إنَّ لِي ذِمَّةً وعهْداً، فَمَا بَالُ فلانٍ لطَمَ وجْهي؟ فقالَ: لِمَ لَطمْتَ وجْهَهُ؟ فذكَرَهُ، فَغَضبَ النبيُّ ﷺ حتّى رُؤيَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قالَ لا تُفَضِّلوا بَيْنَ أوْلِياءِ اللّهِ، فإنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فيَصْعَقُ من في السَّماوات ومَنْ في الأرْضَ إلا مَنْ شاءَ اللّهُ، ثُمَّ يُنْفَخُ فيهِ أُخْرَى فأكُونُ أوَّلَ من بُعِثَ، فإذا مُوسَى آخِذٌ بالعَرْشِ، فَلا أدرِي أحُوسِبَ بصَعْقَتِهِ يومَ الطُّور، أمْ بُعِثَ قبلي».

٣٤١٥ ـ «ولا أقول إن أحَداً أفضَلَ مِنْ يُونُسُ بن مَتَّى».

[الحديث ٣٤١٥ - أطرافه في: ٣٤١٦، ٤٦٠٤، ٤٦٣١، ٤٨٠٥]

٣٤١٦ ـ عنْ أبِي هُرَيرَةَ عنِ النبي ﷺ قالَ: «لا يَنْبَغِي لعبْدٍ أنْ يَقُولَ أنَا خَيرٌ منْ يُونُسَ بن مَتّى».

قوله (من يقطين: من غير ذات أصل، الدباء ونحوه) وكذا قال أبو عبيدة: كل شجرة لا تقوم على ساق فهي يقطين نحو الدباء والحنظل والبطيخ، والمشهور أنه القرع، وقبل التين وقيل الموز.

قال العلماء: إنما قال ﷺ ذلك تواضعا إن كان قاله بعد أن أعلم أنه أفضل الخلق، وإن كان قاله قبل علمه بذلك فلا إشكال، وروى ابن أبي حاتم من طريق عمرو بن ميمون عن ابن

مسعود بإسناد صحيح إليه نحو ذلك وفيه «وأصبح يونس فأشرف على القرية فلم ير العذاب وقع عليهم، وكان في شريعتهم من كذب قتل، فانطلق مغاضبًا حتى ركب سفينة -وقال فيه- فقال لهم يونس إن معهم عبداً آبقا من ربه وإنها لا تسير حتى تلقوه، فقالوا: لا نلقيك يا نبي الله أبداً، قال فاقترعوا فخرج عليه ثلاث مرات، فألقوه فالتقمه الحوت فبلغ به قرار الأرض، فسمع تسبيح الحصى فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت» الآية.

٣٦ ـ باب {وَاسَأَلهُمْ عنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ حاضرةَ الْبَحْرِ إذْ يَعدُون فِي السَّبت}

/١٦٣ الأعراف/: يتعَدَّونَ، يُجَاوِزُون فِي السَّبْت {إذْ تَأْتيهم حيتانُهم يومَ سبْتهم شُرَّعًا -شَوَارِعَ، إلى قَوْله- كُونُوا قِرَدَةً خَاسئين}.

قوله (باب قوله تعالى[1]: واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) الجمهور أن القرية المذكورة أيلة وهي التي على طريق الحاج الذاهب إلى مكة من مصر، وحكى ابن التين عن الزهري أنها طبرية، وكذا قال قتادة: إن أصحاب السبت كانوا من أهل أيلة وأنهم لما تحيلوا على صيد السمك بأن نصبوا الشباك يوم السبت ثم صادوها يوم الأحد فأنكر عليهم قوم ونهوهم فأغلظوا لهم، فقالت طائفة أخرى دعوهم واعتزلوا بنا عنهم، فأصبحوا يوما فلم يروا الذين إعتدوا، فتحوا أبوابهم فأمروا رجلا أن يصعد على سلم فأشرف عليهم فرآهم قد صاروا قردة، فدخلوا عليهم فجعلوا يلوذون بهم، فيقول الذين نهوهم: ألم نقل لكم، ألم ننهكم؟ فيشيرون برءوسهم. وروى ابن أبي حاتم من طريق مجاهد عن ابن عباس «أنهم لم يعيشوا إلا قليلا وهلكوا» وروى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس «صار شبابهم قردة وشيوخهم خنازير.

٣٧ ـ باب قوله تعالى:

{وآتينا داوُدَ زبُوراً} {الزُّبُر} /١٦٢ النساء، ٥٥ الإسراء/: الْكُتبُ واحدُها زبورٌ، زبَرْتُ: كتبْتُ. {ولَقَدْ آتينا داوُدَ منّا فضْلا، يَا جبَالُ أوِّبي مَعَهُ} /١٠ - ١١ سبأ/: قالَ مُجاهد: سبِّحي معه {والطَّيرَ، وألنَّا لهُ الْحديد، أن اعمَلْ سابغَات}: الدُّرُوعَ {وقدِّرْ فِي السَّرْد} المساميرِ والحلَقِ، ولا يُرِقَّ المسمارَ فيَسلَس، ولا يعظُم فينْقَصِمُ. {أفرغْ}: أنزلْ. {بسطةً} زيادةً وفضلا واعملوا صالحاً إني بما تعملونَ بصير}.

٣٤١٧ ـ عن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنْه عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: خُفِّفَ على داودَ عليه السَّلامُ القرآنُ، فكان يأمُرُ بدوابِّهِ فتُسْرَجُ، فيقرأُ الْقُرآن قبْلَ أنْ تُسرَجَ دوَابُّهُ، ولا يَأكُلُ إلا من عَمَلِ يده».

(١) رواية الباب واليونينية بدون "قوله تعالى"

٣٤١٨ ـ عنْ عبدِ اللّهِ بن عمْرو رضيَ اللّهُ عنهُمَا قال: «أُخْبِرَ رسولُ اللّهِ ﷺ أني أقُولُ: واللهِ لأصُومَنَّ النَّهَار ولأقُومَنَّ اللّيلَ مَا عِشْتُ، فقالَ لهُ رسُولُ اللهِ ﷺ: أَنْتَ الّذي تقُولُ: واللّهِ لأصُومَنَّ النّهارَ ولأقُومَنَّ اللّيلَ مَا عِشْتُ؟ قُلْتُ: قَدْ قُلْتُهُ. قال: إنّكَ لا تَسْتَطيعُ ذلِكَ، فَصُمْ وأفطِرْ، وقُمْ ونَمْ، وصُمْ من الشّهْرِ ثَلاثَةَ أيّام فإنّ الحسنة بعَشْرِ أمثالِهَا، وذلِكَ مثلُ صيَامِ الدّهْرِ. فَقُلتُ: إنّي أطيقُ أفضَلَ من ذلِكَ يَا رسولَ اللّه. قالَ: فصُمْ يومًا وأفْطِرْ يومَين. قالَ قُلْتُ: إنّي أطيقُ أفضَلَ منْ ذَلِكَ. قالَ: فَصُمْ يَوْمًا وأفْطِرْ يَوْمًا، وذَلِكَ صيَامُ دَاودَ وَهُوَ أعْدَلُ الصّيَام. قُلْتُ: إنّي أطيقُ أفضَلَ منْهُ يا رسولَ اللّهِ، قالَ: لا أفْضَلَ منْ ذَلِكَ».

٣٤١٩ ـ عنْ عبدِ الله بن عمْرو بنِ العَاص قال: «قالَ لي رسولُ الله ﷺ ألمْ أُنبّأْ أنّكَ تَقُومُ اللّيلَ وتَصُومُ النّهَارَ؟ فَقُلْتُ: نعَمْ. فقالَ: فإنّكَ إذَا فَعلْتَ ذلكَ هجَمَتِ العيْنُ، ونفهَتُ النّفسُ، صُمْ منْ كُلّ شهْرٍ ثلاثَةَ أيّامٍ، فذَلكَ صومُ الدّهْرِ، أوْ كصَوْمِ الدّهْر. قُلتُ: إنّي أجدُ بي -قالَ مِسعَرٌ: يَعْني قُوّةً- قالَ: فصم صوم دَاوُدَ عَليه السّلامُ، وكانَ يصُومُ يَوْمًا ويُفْطرُ يومًا، ولا يَفرُّ إذَا لاقى».

وفي الحديث أن البركة قد تقع في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير.

قوله (ولا يأكل إلا من عمل يده) تقدم شرحه في أوائل البيوع وأن فيه دليلا على أنه أفضل المكاسب، وقد استدل به على مشروعية الإجارة من جهة أن عمل اليد أعم من أن يكون للغير أو للنفس، والذي يظهر أن الذي كان يعمله داود بيده هو نسج الدروع، وألان الله له الحديد، فكان ينسج الدروع ويبيعها ولا يأكل إلا من ثمن ذلك مع كونه كان من كبار الملوك، قال الله تعالى {وشددنا ملكه}، وفي حديث الباب أيضا ما يدل على ذلك، وأنه مع سعته بحيث أنه كان له دواب تسرج إذا أراد أن يركب ويتولى خدمتها غيره، ومع ذلك كان يتورع ولا يأكل إلا مما يعمل بيده.

٣٨ ـ باب أحبُّ الصلاةِ إلى اللّه صلاةُ داودَ

وأحبُّ الصيام إلى اللّهِ صيَامُ داودَ: كان يَنَامُ نصفَ الليلِ، ويقُومُ ثُلثَه وَيَنامُ سُدُسَهُ، وَيَصُوم يومًا ويُفْطرُ يومًا.

قالَ عَليٌّ: وَهُو قَولُ عَائِشَة: «مَا ألفاهُ السحَرُ عندي إلا نائمًا».

٣٤٢٠ ـ عنْ عبدِ الله بن عمْرو قالَ: «قالَ لِي رسولُ اللّه ﷺ: أحبُّ الصيام إلى الله صيامُ داودَ، كانَ يصومُ يومًا ويُفطرُ يومًا. وأحبُّ الصَّلاة إلى اللهِ صلاةُ داودَ، كانَ ينامُ نصفَ الليل ويقُوم ثُلُثَه وينامُ سُدسَه».

٣٩ ـ باب {واذكر عبدَنا داودَ ذا الأيْدِ إنه أوَّاب -إلى قوله- وفصلَ الخطاب}

ص:١٧ - ٢٠، قالَ مُجاهد: الفهمُ في القضاءِ. {ولا تُشطِط}: لا تُسْرِف. {واهْدنا إلى سواءِ الصِّراط. إنَّ هذا أخي له تسعٌ وتسعون نعجةً -يُقال للمرأة نَعجة، ويُقَال لها أيضا شاةً- ولي نعجةٌ واحدة، فقال أكفلنيها -مثلُ {وكفلها زكرياء}: ضمَّها- وعزَّني} غلبني، صارَ أعزَّ مني، أعزَزْته: جعلتهُ عزيزا {في الخطاب} يقالُ المحاورة. {قال لقد ظلمك بسُؤال نعجتِكَ إلى نعاجِه، وإن كثيراً من الخُلَطاءِ ليبغي -إلى قوله-أنما فَتنَّاه} قال ابن عبَّاس: اختبرناه. وقرأ عمر (فتَّناه - بتشديد التاء-فاستغفَر ربَّهُ وخرَّ راكعًا وأناب»).

٣٤٢١ ـ عنْ مُجاهدٍ قالَ: «قلتُ لابن عبَّاسٍ أنسجُدُ في ص؟ فقرأ {ومن ذرِّيته داودَ وسليمانَ -حتى أتى- فبهُداهُم اقتَدِه} فقالَ ابنُ عبَّاسٍ رضي اللهُ عنهُمَا: نبيُّكمْ ﷺ ممَّن أمرَ أن يَقتديَ بهم».

[الحديث ٣٤٢١ - أطرافه في: ٤٦٣٢، ٤٨٠٦، ٤٨٠٧]

٣٤٢٢ ـ عنِ ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُمَا قالَ: «ليسَ (ص) مِنْ عَزائم السُّجودِ، ورأيْتُ النبيَّ ﷺ يَسجدُ فيها».

قوله (باب واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب -إلى قوله- وفصل الخطاب) الأيد القوة، وكان داود موصوفا بفرط الشجاعة، والأواب يأتي تفسيره قريبا.

وسيأتي شرح الحديث في التفسير إن شاء الله تعالى.

٤٠ ـ باب قول الله تعالى:

{ووَهَبنا لداودَ سليمانَ، نعمَ العبدُ إنَّهُ أوَّاب} /صَ:٣٠ الراجعُ المنيب.

وقوله [ص:٣٥] {هَب لي مُلكًا لا يَنْبغي لأحدٍ من بعْدي}. وقولهِ [البقرة:١٠٢] {واتَّبعوا ما تتلوا الشياطينُ على مُلكِ سُليمانَ}، /١٢ سبأ/: {ولِسُلَيمَانَ الرِّيحَ غُدوُّها شهرٌ ورواحُها شهرٌ، وأسَلْنا لهُ عَينَ القطرِ -أذبْنا له عين الحديد- ومن الجنِّ من يعملُ بين يديهِ -إلى قوله- من محاريبَ} قال مجاهدٌ بُنيانٌ ما دون القُصور {وتماثيلَ وجفان كالجَواب} كالحياضِ للإبلِ، وقال ابن عباس: كالجَوبةِ من الأرض {وقُدورٍ راسياتٍ -إلى قوله- الشَّكُور. فلما قضينا عليه الموتَ مادلَّهم على موتهِ إلا دابَّةُ الأرضِ -الأرضةُ- تأكلُ مِنسَأتَه} عصاه {فلما خَرَّ -إلى قوله- المهين}. [ص:٣٢-٣٣]: {حُبَّ الخير عن ذِكرِ ربِّي......فطَفِقَ مسحًا بالسُّوق والأعناق} يمسحُ أعرافَ الخيل وعَرَاقيبَهَا. {الأصفاد} الوَثاق. قال مجاهد {الصافنات}: صَفَنَ الفرسُ رفع إحدى رجليه حتى تكونَ على طرف الحافر. {الجيادُ}: السِّراعُ {جَسَدا}: شيطانا. {رُخَاءً}: طَيِّبةٌ. {حيث أصاب}: حيثُ شاء. {فامنُن}: أعط. {بغير حساب}: بغير حَرَج.

٣٤٢٣ - عن أبي هريرةَ عنِ النبيِّ ﷺ «إنَّ عفريتًا من الجنّ تفلّتَ البارحةَ ليقطعَ عليَّ صلاتي، فأمْكنَني اللهُ منْهُ، فأخَذتهُ، فأردتُ أن أربطَهُ على ساريةٍ من سَواري المسجد حتى تَنظُروا إليه كلُّكم، فذكرتُ دعوةَ أخي سُليمانَ {رب هَبْ لي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأحدٍ من بعدي} فردَدْتهُ خاسئًا» عفريتٌ: متمردٌ من إنسٍ أو جانٍّ، مثلُ زِبْنية جماعتُها الزَّبانية.

٣٤٢٤ - عن أبي هريرةَ عنِ النبيِّ ﷺ قال: «قالَ سُليمانُ بن داودَ: لأطوفنَّ الليلةَ على سبعينَ امرأةً تحملُ كلُّ امرأةٍ فارسًا يُجاهدُ في سبيل الله. فقال له صاحبهُ: إنْ شاءَ اللهُ. فلم يَقُلْ، ولم تَحمل شيئاً إلا واحداً ساقطاً أحدُ شقَّيه. فقالَ النبيُّ ﷺ لو قالَها لجاهَدوا في سبيل الله».

قال شعيب وابن أبي الزِّنادِ {تسعين } وهو أصح.

٣٤٢٥ - عنْ أبِي ذَرٍّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «قُلْتُ يا رسولَ اللهِ أيُّ مسجدٍ وُضعَ أول؟ قال: المسجدُ الحرام. قلت: ثمَّ أيٌّ؟ قال: ثم المسجدُ الأقصى قلتُ: كم كان بينهما؟ قالَ: أربعونَ. ثم قال: حيثما أدركتكَ الصلاةُ فصلِّ والأرضُ لكَ مسجد».

٣٤٢٦ - عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ سَمع رسولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: «مَثَلي ومَثَلُ النَّاس كمثل رجل استوقَدَ ناراً، فجعلَ الفَراشُ وهذه الدَّوابُّ تقعُ في النار».

٣٤٢٧ - «وقالَ: كانَتْ امرأتانِ معهما ابناهما، جاءَ الذئبُ فذهبَ بابنِ إحداهما، فقالت صاحبتها: إنما ذهبَ بابنكِ، وقالت الأخرى: إنما ذهبَ بابنكِ. فتحاكمتا إلى داودَ فقضى به للكُبرى، فخرَجتا على سُليمانَ بن داودَ فأخبَرَتاه فقال: أئتوني بالسكين أشُقُّهُ بينهما. فقالت الصغرى لا تَفعَلْ يرحمُكَ اللهُ، هُوَ ابنُها، فقضى بِهِ للصغرى. قالَ أبو هُرَيْرَةَ: وَاللهِ إنْ سَمِعتُ بالسكين إلا يومَئذٍ، ومَا كُنَّا نقُول إلا المُدْيَةُ».

[الحديث ٣٤٧٢- طرفه في: ٦٧٦٩]

قوله (نعم العبد إنه أواب الراجع المنيب) هو تفسير الأواب. وقد أخرج ابن جريج من طريق مجاهد قال: الأواب الرجاع عن الذنوب. ومن طريق قتادة قال المطيع.

وقال أبو عبيدة: الجوابي جمع جابية، وهو الحوض الذي يجبى فيه الماء.

قوله (دابة الأرض) الأرضة.

قوله (فطفق مسحا بالسوق والأعناق، يمسح أعراف الخيل وعراقيبها) هو قول ابن عباس أخرجه ابن جرير، وروى من طريق الحسن قال: كشف عراقيبها وضرب أعناقها وقال لا تشغلني عن عبادة ربي مرة أخرى.

قوله (الأصفاد الوثاق) روى ابن جرير من طريق السدي قال: مقرنين في الأصفاد: أي يجمع اليدين إلى العنق بالأغلال.

قوله (البارحة) أي الليلة الخالية الزائلة.

قوله (فذكرت دعوة أخي سليمان) أي قوله {وهَبْ لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي} وفي هذه إشارة إلى أنه تركه رعاية لسليمان عليه السلام، ويحتمل أن تكون خصوصية سليمان استخدام الجن في جميع ما يريده لا في هذا القدر فقط، واستدل الخطابي بهذا الحديث على أن أصحاب سليمان كانوا يرون الجن في أشكالهم وهيئتهم حال تصرفهم، قال: وأما قوله تعالى {إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم} فالمراد الأكثر الأغلب من أحوال بني آدم، وتعقب بأن نفي رؤية الإنس للجن على هيئتهم ليس بقاطع من الآية بل ظاهرها أنه ممكن، فإن نفي رؤيتنا إياهم مقيد بحال رؤيتهم لنا ولا ينفي إمكان رؤيتنا لهم في غير تلك الحالة، ويحتمل العموم، وهذا الذي فهمه أكثر العلماء حتى قال الشافعي: من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته، واستدل بهذه الآية. والله أعلم.

قوله (قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة) كناية عن الجماع.

قوله (تحمل كل امرأة فارسا يجاهد في سبيل الله) هذا قاله على سبيل التمني للخير، وإنما جزم به لأنه غلب عليه الرجاء، لكونه قصد به الخير وأمر الأخرة لا لغرض الدنيا. قال بعض السلف: نبه ﷺ في هذا الحديث على آفة التمني والإعراض عن التفويض، قال: ولذلك نسي الإستثناء ليمضي فيه القدر.

قوله (فقال له صاحبه: إن شاء الله) في رواية معمر عن طاوس الآتية «فقال له الملك».

وقال القرطبي في قوله «فقال له صاحبه أو الملك» إن كان صاحبه فيعني به وزيره من الإنس والجن، وإن كان الملك فهو الذي كان يأتيه بالوحي.

قوله (فلم يقل) قال عياض: بين في الطريق الأخرى بقوله «فنسي».

قوله (إلا واحدا ساقطا أحد شقيه) في رواية شعيب «فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل».

قوله (لو قالها لجاهدوا في سبيل الله) والمراد أنه كان يحصل له ما طلب ولا يلزم من إخباره ﷺ بذلك في حق سليمان في هذه القصة أن يقع ذلك لكل من استثنى في أمنيته، بل في الاستثناء رجو الوقوع وفي ترك الاستثناء خشية عدم الوقوع، وبهذا يجاب عن قول موسى للخضر {ستجدني إن شاء الله صابرا} مع قول الخضر له آخراً {ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا} وفي الحديث فضل فعل الخير وتعاطي أسبابه، وأن كثيرا من المباح والملاذ يصير مستحبا بالنية والقصد. وفيه استحباب الاستثناء لمن قال سأفعل كذا، وأن إتباع المشيئة

اليمين يرفع حكمها، وهو متفق عليه بشرط الاتصال، وسيأتي بيان ذلك في الأيمان والنذور[١] مع بسط فيه، وفيه الاستثناء لا يكون إلا باللفظ ولا يكفي فيه النية. وهو اتفاق إلاما حكي عن بعض المالكية. وفيه ما خص به الأنبياء من القوة على الجماع الدال ذلك على صحة البنية وقوة الفحولية وكمال الرجولية مع ما هم فيه من الاشتغال بالعبادة والعلوم. وقد وقع للنبي ﷺ من ذلك أبلغ المعجزة لأنه مع اشتغاله بعبادة ربه وعلومه ومعالجة الخلق كان متقللا من المآكل والمشارب المقتضية لضعف البدن على كثرة الجماع، ومع ذلك فكان يطوف على نسائه في ليلة بغسل واحد وهن إحدى عشرة إمرأة، وقد تقدم في كتاب الغسل، ويقال إن كل من كان أتقى لله فشهوته أشد لأن الذي لا يتقي يتفرج بالنظر ونحوه، وقال القرطبي: لا يظن بسليمان عليه السلام أنه قطع بذلك على ربه إلا من جهل حال الأنبياء وأدبهم مع الله تعالى. وقال ابن الجوزي: فإن قيل من أين لسليمان أن يخلق من مائه هذا العدد في ليلة؟ لا جائز أن يكون بوحي لأنه ما وقع، ولا جائز أن يكون الأمر في ذلك إليه لأن الأرادة لله. والجواب أنه من جنس التمني على الله والسؤال له أن يفعل والقسم عليه كقول أنس بن النضر «والله لا يكسر سنها» ويحتمل أن يكون لما أجاب الله دعوته أن يهب له ملكا لا ينبغي لأحد من بعده كان هذا عنده من جملة ذلك فجزم به. وأقرب الاحتمالات ما ذكرته أولا وبالله التوفيق. قلت: ويحتمل أن يكون أوحى إليه بذلك مقيدا بشرط الاستثناء فنسي الاستثناء فلم يقع ذلك لفقدان الشرط، وفيه جواز السهو على الأنبياء، وأن ذلك لا يقدح في علو منصبهم.

قوله (أي مسجد وضع أول) تقدم التنبيه عليه في أثناء قصة إبراهيم عليه السلام. وقوله «أدركتك الصلاة» أي وقت الصلاة، وفيه إشارة إلى المحافظة على الصلاة في أول وقتها، ويتضمن ذلك الندب إلى معرفة الأوقات. وفيه إشارة إلى أن المكان الأفضل للعبادة إذا لم يحصل لا يترك المأمور به لفواته بل يفعل المأمور في المفضول لأنه ﷺ كأنه فهم عن أبي ذر من تخصيصه السؤال عن أول مسجد وضع أنه يريد تخصيص صلاته فيه فنبه على أن إيقاع الصلاة إذا حضرت لا يتوقف على المكان الأفضل، وفيه فضيلة الأمة المحمدية لما ذكر أن الأمم قبلهم كانوا لا يصلون إلا في مكان مخصوص وقدتقدم التنبيه عليه في كتاب التيمم[٢]، وفيه الزيادة على السؤال في الجواب لا سيما إذ كان للسائل في ذلك مزيد فائدة.

---

(١) كتاب كفارات الأيمان باب / ٩ ح ٦٧١٨، ٦٧٢٠ - ٥ / ١٢٦
(٢) كتاب التيمم باب /١ ح ٣٣٥ - ١ / ٢٢٨

قوله (مثلي) أي في دعائي الناس إلى الإسلام المنقذ لهم من النار ومثل ما تزين لهم أنفسهم من التمادي على الباطل.

قال النووي: مقصود الحديث أنه ﷺ شبه المخالفين له بالفراش وتساقطهم في نار الآخرة بتساقط الفراش في نار الدنيا مع حرصهم على الوقوع في ذلك ومنعه إياهم، والجامع بينهما اتباع الهوى وضعف التمييز وحرص كل من الطائفتين على هلاك نفسه، وقال القاضي أبوبكر بن العربي : هذا مثل كثير المعاني ، والمقصود أن الخلق لا يأتون ما يجرهم إلى النار على قصد الهلكة، وإنما يأتونه على قصد المنفعة واتباع الشهوة، كما أن الفراش يقتحم النار لا ليهلك فيها بل لما يعجبه من الضياء. وقد قيل إنّها لا تبصر بحال وهو بعيد، وإنما قيل إنها تكون في ظلمة فإذا رأت الضياء اعتقدت أنها كوة يظهر منها النور فتقصده لأجل ذلك فتحترق وهي لا تشعر، وقال الغزالي: التمثيل وقع على صورة الإكباب على الشهوات من الأنسان بإكباب الفراش على التهافت في النار، ولكن جهل الآدمي أشد من جهل الفراش، لأنها بإغترارها بظواهر الضوء إذا احترقت انتهى عذابها في الحال، والآدمي يبقى في النار مدة طويلة أو أبدا والله المستعان.

قوله (فقضى به للكبرى الخ) قيل كان ذلك على سبيل الفتيا منهما لا الحكم، ولذلك ساغ لسليمان أن ينقضه. وتعقبه القرطبي بأن في لفظ الحديث أنه قضى بأنهما تحاكما، وبأن فتيا النبي وحكمه سواء في وجوب تنفيذ ذلك. وقال الداودي: إنما كان منهما على سبيل المشاورة فوضح لداود صحة رأي سليمان فأمضاه. وقال ابن الجوزي: والذي ينبغي أن يقال إن داود عليه السلام قضى به للكبرى لسبب اقتضى به عنده ترجيح قولها، إذ لابَيِّنَة لواحدة منهما، وكونه لم يعين في الحديث اختصارا لا يلزم منه عدم وقوعه، فيحتمل أن يقال: إن الولد الباقي كان في يد الكبرى وعجزت الأخرى عن إقامة البينة قال: وهذا تأويل حسن جار على القواعد الشرعية وليس في السياق ما يأباه ولا يمنعه، فإن قيل فكيف ساغ لسليمان نقض حكمه؟ فالجواب أنه لم يعمد إلى نقض الحكم، وإنما احتال بحيلة لطيفة أظهرت ما في نفس الأمر، وذلك أنهما لما أخبرتا سليمان بالقصة فدعا بالسكين ليشقه بينهما، ولم يعزم على ذلك في الباطن، وإنما أراد استكشاف الأمر، فحصل مقصوده لذلك لجزع الصغرى الدال على عظيم الشفقة، ولم يلتفت إلى إقرارها بقولها هو ابن الكبرى لأنه علم أنها آثرت حياته، ودلت هذه القصة على أن الفطنه والفهم موهبة من الله لا تتعلق بكبر سن ولا صغره، وفيه أن الحق في جهة واحدة، وأن الأنبياء يسوغ لهم الحكم بالاجتهاد

وإن كان وجود النص ممكنا لديهم بالوحي، لكن في ذلك زيادة في أجورهم ولعصمتهم من الخطأ في ذلك إذ لا يقرون لعصمتهم على الباطل. وقال النووي: إن سليمان فعل ذلك تحيلا على إظهار الحق، فكان كما لو اعترف المحكوم له بعد الحكم أن الحق لخصمه. وفيه استعمال الحيل في الأحكام لإستخراج الحقوق، ولا يتأتى ذلك إلا بمزيد الفطنة وممارسة الأحوال.

٤١ ـ باب قول الله تعالى:

/١٢ - ١٨ لقمان/: {وَلَقَدْ آتَينَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ أنِ اشكُر لله -إلى قولِه- إنَّ اللهَ لا يحبُّ كلَّ مُختالٍ فخُور}. {ولا تُصَعِّرْ} الإعراضُ بالوجه

٣٤٢٨ ـ عنْ عَبْدِ الله قالَ: «لمَّا نَزَلَت {الَّذينَ آمنُوا ولَم يَلبِسُوا إيمانَهم بظلْم} /٨٢ الأنعام/ قالَ أصْحَابُ النبيِّ ﷺ : أيُّنَا لَمْ يَلبِسْ إيمانَهُ بظلمٍ؟ فنزلت /١٣ لقمان/: {لا تُشْرِكْ باللهِ، إنَّ الشركَ لظُلمٌ عَظيم}.

٣٤٢٩ ـ عنْ عبْدِ الله رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «لمَّا نزلت {الَّذينَ آمنُوا ولَم يَلبِسُوا إيمانَهم بظلْم} شقَّ ذلكَ على المسلمين فقالوا: يا رسولَ الله أيُّنَا لايظلِمُ نفسَهُ؟ قالَ ليس ذلكَ، إنَّما هُوَالشِّركُ، ألمْ تسمعُوا ما قالَ لُقمانُ لابْنهِ وهُوَ يَعظُه {يابني لا تُشْرِكْ باللهِ، إنَّ الشركَ لظُلمٌ عَظيم}».

قوله (باب قول الله تعالى: ولقد آتينا لقمان الحكمة -إلى قوله- عظيم) اختلف في لقمان فقيل كان حبشيا، وقيل كان نوبيا. واختلف هل كان نبيا، وروى الثوري في تفسيره عن أشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان لقمان عبدا حبشياً نجارا وفي «مصنف ابن أبي شيبة» عن خالد بن ثابت الربعي أحد التابعين مثله، وروى الطبري من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيب كان لقمان من سودان مصر ذو مشافر، أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة. وفي «المستدرك» بإسناد صحيح عن أنس قال: كان لقمان عند داود وهو يسرد الدرع، فجعل لقمان يتعجب ويريد أن يسأله عن فائدته فتمنعه حكمته أن يسأل وهذا صريح في أنه عاصر داود عليه السلام.

قال شعبة عن الحكم عن مجاهد كان صالحا ولم يكن نبيا. ويقال أن عكرمة تفرد بقوله كان نبيا، وقد روى سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى: {ولقد آتينا لقمان الحكمة} قال التفقه في الدين ولم يكن نبيا، وقد تقدم تفسير المراد بالحكمة في أوائل كتاب العلم في شرح حديث ابن عباس «اللهم علمه الحكمة» وقيل كان خياطا وقيل نجاراً.

٤٢ ـ باب قوله تعالى:
{واضْرِبْ لهم مَثَلاً أصْحابَ الْقَرية} الآية /يس:١٣/

{فعزَّزْنا} قال مُجَاهِدٌ: شدَّدْنا. وقال ابْنُ عبَّاسٍ {طَائِرُكُمْ}: مَصَائِبُكُمْ.

والقرية المراد بها أنطاكية ولعلها كانت مدينة بالقرب من هذه الموجودة، لأن الله أخبره أنه أهلك أهلها، وليس لذلك أثر في هذه المدينة الموجودة الآن.

٤٣ ـ باب قولِ اللّه تَعالى:

{ذِكْرُ رحمَةِ ربِّكَ عبْدَهُ زكَرِيَّا، إذْ نَادَى ربَّه نداءً خفياً. قال ربِّ إنِّي وهنَ العظْمُ منِّي واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا -إلى قوله- لم نَجْعَلْ لهُ من قبلُ سميّاً} /مريم:٣-٧/، قالَ ابن عبَّاسٍ: مثلاً. يقال {رضيّاً} مرضيّاً. {عتيّاً}: عصيّاً، عتا يَعتو. {قالَ ربِّ أنَّى يكونُ لي غلامٌ -إلى قوله- ثلاثَ ليالٍ سَوِيًّا} ويُقال صحيحا {فخرجَ على قومِهِ منَ المحرابِ، فأوْحى إليهمْ أنْ سَبِّحوا بُكرَةً وعشيّاً}. { فأوْحى}: فأشارَ. {يَا يَحْيى خُذِ الكتابَ بقُوَّةٍ -إلى قولهِ- ويَوْمَ يُبْعثُ حيّاً}. {حفيًّا}: لطيفًا. {عاقراً} الذَّكَرُ والأنثى سواءٌ .

٣٤٣٠ ـ عنْ مالكِ بن صعْصَعَةَ «أنَّ نَبيَّ اللّه ﷺ حَدَّثَهُمْ عنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بهِ: ثمَّ صَعِدَ حتَّى أتَى السَّماءَ الثَّانيةَ، فاسْتَفْتَحَ، قيلَ من هذا؟ قالَ: جبريلُ. قيل: ومنْ معكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ. قيلَ: وقَدْ أرسِلَ إليهِ؟ قالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا خلصْتُ فإذا يَحْيى وعِيسَى وهُمَا ابْنَا خَالةٍ. قالَ هذا يَحْيى وعيسى، فسلِّم عليهِمَا، فسلَّمْتُ، فَرَدَا، ثُمَّ قالا: مرحبًا بالأخِ الصَّالحِ والنَّبيِّ الصَّالحِ».

قوله (حفيا: لطيفا) وقال أبو عبيدة في قوله (إنه كان بي حفيا) أي محتفيا، يقال تحفيت بفلان.

٤٤ ـ باب قولِ اللّه تَعالى:

{واذْكر في الكتَاب مريمَ إذْ انتبذَتْ من أهلِها مكاناً شرقياً} /١٦ - مريم/. {إذ قالَتِ الملائكة يا مريمُ إنَّ اللّهَ يُبشِّرُكِ بكلمة} /آل عمران:٤٥/. {إنَّ اللّهَ اصْطفى آدمَ ونوحًا وآل إبْراهيم وآل عمرانَ على العالمينَ -إلى قوله- يَرزقُ مَنْ يشاءُ بغيرِ حساب} /آل عمران:٣٣/. قال ابنُ عبَّاسٍ {وآل عمران}. المؤمنونَ من آل إبراهمَ وآل عمرانَ وآلِ ياسينَ وآلِ محمدٍ ﷺ يقولُ {إنَّ أولى النَّاسِ بإبراهيمَ للّذين اتَّبعوه}/آل عمران:٦٨/ وهُم المؤمنون. ويُقال {آل يعقوبَ} أهل يعقوب. فإذا صغَّروا «آل» ثمَّ ردُّوهُ

٣٤٣١ ـ عن سعيدِ بن المسيَّبِ قال: قالَ أبو هُرَيرَةَ رضيَ اللّه عنهُ :«سمعتُ رسولَ اللّه ﷺ يقول: ما من بني آدمَ مولودٌ إلا يَمسُّهُ الشيطانُ حينَ يُولد فيَستَهلُّ صارخًا من مَسِّ الشيطان، غيرَ مريمَ وابنِها. ثمَّ يقولُ أبو هريرةَ {وإنِّي أعيذُها بكَ وذُرِّيَّتَهَا من الشيطانِ الرجيم} [٣٦ آل عمران]».

قوله (ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد) في رواية سعيد بن المسيب عن أبي هريرة الماضية في «باب صفة إبليس» بيان المس المذكور لفظه «كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه بإصبعه حين يولد، غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب» أي في المشيمة التي فيها الولد قال القرطبي: هذا الطعن من الشيطان هو ابتداء التسليط، فحفظ الله مريم وابنها منه ببركة دعوة أمها حيث قالت {إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم} ولم يكن لمريم ذرية غير عيسى.

قوله (فيستهل صارخا من مس الشيطان) في رواية معمر المذكورة «من نخسة الشيطان» أي سبب صراخ الصبي أول ما يولد الألم من مس الشيطان إياه، والاستهلال الصياح.

٤٥ ـ باب ـ {وإذْ قالت الملائكةُ يا مريمُ إنَّ اللّهَ اصْطفاكِ وطهَّركِ واصطفاكِ على نساءِ العالمين. يا مريمُ اقنُتِي لربِّكِ واسجُدِي واركعِي معَ الرَّاكعين. ذلكَ من أنباءِ الغيب نُوحيه إليكَ، وما كنت لدَيهم إذْ يُلقونَ أقلامَهُمْ أيُّهم يكفُلُ مريمَ، وما كنتَ لدَيْهِمْ إذْ يَخْتَصِمُونَ} /آل عمران:٤٢/ يقالُ {يكفُلُ}: يضُمُّ كفَلَها: ضَمَّها، مخفَّفة، ليس من كفالة الدُّيون وشبهها.

٣٤٣٢ ـ عن عليٍّ رضيَ اللّهُ عنْهُ قال: «سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقول: خيرُ نسائها مريم ابنةُ عمرانَ، وخيرُ نسائها خديجةُ».

[الحديث ٣٤٣٢ – طرفه في: ٣٨١٥]

قوله (باب وإذا قالت الملائكة: يا مريم إن الله اصطفاك واستدل بقوله تعالى {إن الله اصطفاك} على أنها كانت نبية وليس بصريح في ذلك، وأيد بذكرها مع الأنبياء في سورة مريم، ولا يمنع وصفها بأنها صديقة فقد وصف يوسف بذلك. وقد نقل عن الأشعري إنَّ في النساء عدة نبيات، وحصرهن ابن حزم في ست: حواء وسارة وهاجر وأم موسى وآسية ومريم، وأسقط القرطبي سارة وهاجر، ونقله في «التمهيد» عن أكثر الفقهاء. وقال القرطبي: الصحيح أن مريم نبية. وقال عياض: الجمهور على خلافه. ونقل النووي في «الأذكار» أن الإمام (١) نقل الإجماع على أن مريم ليست نبية. وعن الحسن ليس في النساء نبية ولا في الجن. وقال السبكي الكبير: لم يصح عندي في هذه المسألة شيء، ونقله السهيلي في آخر «الروض» عن أكثر الفقهاء.

قوله (وخير نسائها خديجة) أي نساء هذه الأمة، قال القاضي أبو بكر بن العربي: خديجة أفضل نساء الأمة مطلقا لهذا الحديث، وقد تقدم في آخر قصة موسى حديث أبي موسى في ذكر مريم وآسية وهو يقتضي فضلهما على غيرهما من النساء، ودل هذا الحديث على أن مريم أفضل من آسية وأن خديجة أفضل نساء هذه الأمة.

٤٦ ـ باب قولِه تعالى {إذْ قالَتِ الملائكةُ يامريمُ -إلى قوله- فإنَّما يقول لهُ كُنْ فيكُون} /آل عمران:٤٥ - ٤٨/.

{يُبَشِّرُكِ} ويُبْشِرُكِ واحد. {وجيهًا} شريفًا. وقال إبراهيم: المسيحُ الصدِّيق. وقالَ مُجاهدٌ: الكهل. الحليم. والأَكْمَهُ من يُبْصرُ بالنهار ولا يُبْصرُ بالليل. وقالَ غيرهُ: من يولدُ أعمى.

٣٤٣٣ ـ عنْ أبِي موسى الأشعريِّ رضي اللَّه عنْهُ قالَ: «قالَ النبيُّ ﷺ: فضلُ عائشةَ على النِّساءِ كَفَضْلِ الثَّريدِ على سائرِ الطعامِ. كَمُلَ من الرجالِ كثير. ولم يكمُلْ من النساء إلا مريمُ بنتُ عمرانَ وآسيةُ امرأةُ فرعونَ».

٣٤٣٤ ـ عنْ أبِي هُرَيرَةَ قَالَ: «سَمِعْتُ رسولَ اللَّهُ ﷺ يقول: «نساءُ قريشٍ خيرُ نساءٍ ركبنَ الإبلَ: أحناهُ على طِفلٍ، وأرعاهُ على زوجٍ في ذات يدهِ». يقولُ أبو هُرَيْرَةَ عَلَى إثر ذلكَ: ولمْ تركبْ مريمُ بنت عمرانَ بعيراً قطُّ.

[الحديث ٣٤٣٤ - طرفاه في: ٥٠٨٢، ٥٣٦٥]

قال الطبري: مراد إبراهيم بذلك أن الله مسحه فطهره من الذنوب، فهو فعيل بمعنى مفعول. قلت: وهذا بخلاف تسمية الدجال المسيح فإنه فعيل بمعنى فاعل يقال إنه سمي بذلك لكونه يمسح الأرض وقيل سمي بذلك لأنه ممسوح العين فهو بمعنى مفعول، قيل في المسيح عيسى أيضاً إنه مشتق من مسح الأرض لأنه لم يكن يستقر في مكان، ويقال سمي بذلك لأنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برئ، وقيل لأنه كان جميلا يقال: مسحه الله أي خلقه خلقا حسنا ومنه قولهم به مسحة من جمال.

قوله (وقال مجاهد: الكهل الحليم) وقد قال أبو جعفر النحاس: إن هذا لا يعرف في اللغة، وإنما الكهل عندهم من ناهز الأربعين أو قاربها، وقيل من جاوز الثلاثين وقيل ابن ثلاث وثلاثين انتهى. والذي يظهر أن مجاهدا فسره بلازمه الغالب، لأن الكهل غالبا يكون فيه وقار وسكينة.

قوله (أحناه) أشفقه والحانية التي تقوم بولدها بعد موت الأب، قال: وحنت المرأة على ولدها إذا لم تتزوج بعد موت الأب. قال ابن التين: فإن تزوجت فليست بحانية.

قوله (يقول أبو هريرة على أثر ذلك: ولم تركب مريم بنت عمران بعيرا قط) أراد أبو هريرة بذلك أن مريم لم تدخل في النساء المذكورات بالخيرية لأنه قيدهن بركوب الإبل ومريم لم تكن ممن يركب الإبل، وكأنه كان يرى أنها أفضل النساء مطلقا.

٤٧ - باب قوله {يا أهلَ الكتابِ لا تَغلوا في دينكم ولا تَقولُوا على اللهِ إلا الحقَّ إنَّما المسيحُ عيَسى بن مريمَ رسولُ اللّه وكلمته ألقاهَا إلى مريمَ وروحٌ منه، فآمنُوا باللّه ورسُله ولا تقُولوا ثلاثةٌ انتهُوا خيراً لكُمْ إنَّما اللّه إلهٌ واحد سبحانَهُ أنْ يكونَ له ولَد، لهُ ما في السماوات وما في الأرْض، وكفى باللّهِ وكيلا} /النساء:١٧١/.

قال أبو عُبيد{كلمته كنْ فَكَان. وقالَ غيرهُ {ورُوحٌ منهُ}: أحياهُ فجعلَهُ روحًا {ولا تقولوا ثَلاثة}.

٣٤٣٥ - عنْ عُبَادةَ رضِيَ اللّهُ عنْهُ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «من شهدَ أن لا إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ لهُ، وأنَّ محمداً عبدُهُ ورسُوله، وأنَّ عيسى عبدُ اللّه ورسُوله وكلمتهُ ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منهُ، والجنةُ حقٌّ والنارُ حقٌّ، أدخلَهُ اللّهُ الجنَّةَ على مَا كانَ من العَمل».

قال القرطبي: مقصود هذا الحديث التنبيه على ما وقع للنصارى من الضلال في عيسى وأمه، ويستفاد منه ما يلقنه النصراني إذا أسلم، قال النووي: هذا حديث عظيم الموقع، وهو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد، فإنه جمع فيه ما يخرج عنه جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدهم. وقال غيره: في ذكر عيسى تعريض بالنصارى وايذان بأن إيمانهم مع قولهم بالتثليث شرك محض، وكذا قوله «عبده» وفي ذكر «رسوله تعريض باليهود في إنكارهم رسالته وقذفه بما هو منزه عنه وكذا أمه، وفي قوله «وابن أمته» تشريف له، وكذا تسميته بالروح ووصفه بأنه «منه» كقوله تعالى {وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه} [الجاثية ١٣] الآية. فالمعنى أنه كائن منه كما أن معنى الآية الأخرى أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه، أي أنه مكون كل ذلك وموجده بقدرته وحكمته. وقوله {وكلمته} إشارة إلى أنه حجة الله على عباده أبدعه من غير أب وأنطقه في غير أوانه وأحيى الموتى على يده.

قوله (عن جنادة وزاد) ومعنى قوله «على ما كان من العمل» أي من صلاح أو فساد، لكن أهل التوحيد لابدَّ لهم من دخول الجنة، ويحتمل أن يكون معنى قوله «على ما كان من العمل» أي يدخل أهل الجنة الجنة على حسب أعمال كل منهم في الدرجات.

قال البيضاوي في قوله «على ما كان عليه من العمل» دليل على المعتزلة من وجهين: دعواهم أن العاصي يخلد في النار وأن من لم يتب يجب دخوله في النار، لأن قوله «على ما كان من العمل» حال من قوله «أدخله الله الجنة» والعمل حينئذ غير حاصل، ولا يتصور ذلك في حق من مات قبل التوبة إلا إذا أدخل الجنة قبل العقوبة. وأما ما ثبت من لازم أحاديث الشفاعة أن بعض العصاة يعذب ثم يخرج فيخص به هذا العموم، وإلا فالجميع تحت الرجاء،

كما أنهم تحت الخوف. وهذا معنى قول أهل السنة: إنهم في خطر المشيئة.

٤٨ ـ باب قولِ الله

{واذكُرْ في الكتابِ مريمَ إذ انتَبَذَتْ من أهلِها} /مريم:١٦/.

نبذناهُ: ألقيناهُ اعتزلَت شرقياً: مما يلي الشرق. فأجَاءَها: أفعَلْتُ من جئتُ، ويقال: ألجأها اضطرها، تَسَّاقَطْ: تَسْقُطْ. قصياً: قاصياً. فريًا عظيما. قال ابنُ عبَّاسٍ: نسياً: لم أكُن شيئًا. وقالَ غيرهُ النَّسيُ: الحقير. وقالَ أبو وائلٍ علمتْ مريم أنَّ التَّقيَّ ذو نُهْيَةٍ حينَ قالت {إن كنتَ تقيًا}. وقالَ وكيعٌ عن إسرائيلَ عن أبي إسحاقَ عن البراءِ {سرِيًّا} نهرٌ صغير بالسُّريانية.

٣٤٣٦ ـ عن أبي هريرَةَ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «لمْ يَتكلمْ في المهد إلا ثلاثة: عيسى وكانَ في بَنِي إسْرائيل رَجُلٌ يُقالَ لَهُ جُرَيج كانَ يُصلِّي، فَجَاءَتْهُ أمُّهُ فدعَتْهُ، فقالَ: أجيبُها أو أصلِّي؟ فقالت: اللهُمَّ لا تُمتْهُ حتَّى تُرِيَهُ وُجوهُ المومِسات، وكانَ جُرَيجٌ في صَوْمَعته، فتعرَّضَتْ له امرأةٌ وكلَّمَتْهُ فأبى، فأتَتْ راعيًا فأمكنَتْهُ من نفسِها، فوَلَدَت غلامًا، فقالتْ: من جُرَيجٍ، فأتَوهُ فكسروا صَومعتَهُ وأنزلوهُ وسبُّوه، فتوضَّأ وصلَّى، ثمَّ أتى الغُلامَ فقالَ: من أبُوكَ يَا غُلامُ؟ قال: الراعي، قالوا: نَبْني صَومعتَكَ من ذهبٍ؟ قالَ: لا، إلا من طين. وكانَت امرأة تُرضعُ ابنًا لها من بني إسرائيلَ، فمرَّ رجل راكبٌ ذو شارة، فقالت: اللهمَّ اجعل ابني مثلَهُ، فتَركَ ثديَها وأقبلَ على الرَّاكب فقالَ: اللهمَّ لا تجعلْني مثله، ثمَّ أقبل على ثَديها يمصُّه، قالَ أبو هُرَيْرَةَ: كأني أنظرُ إلى النبيِّ ﷺ يمُصُّ إصبَعَه، ثمَّ مُرَّ بأمة فقالت: اللهمَّ لا تجعَلْ ابني مثل هذه، فتركَ ثَديَها فقال: اللهُمَّ اجعلْني مثلها، فقالت: لم ذاك؟ فقالَ: الرَّاكبُ جبَّارمن الجبابرة، وهذه الأمة يقولُونَ سرَقتِ زنيتِ ولم تفعَل».

٣٤٣٧ ـ عنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: « قالَ النبيُّ ﷺ لَيْلَةَ أسريَ به: لقيتُ موسى، قالَ فنعتَه فإذا رجلٌ حسبتُهُ قالَ مُضْطربٌ رَجِل الرأس كأنهُ من رجال شَنُوءَة. قال ولقيتُ عيسىٰ، فنعتَه النبيُّ ﷺ فقال: ربعةٌ أحمرُ، كأنَّما خَرَجَ من ديماس -يعني الحمام- ورأيتُ إبراهيمَ وأنا أشبَه ولده به. قال: وأتيتُ بإناءَين أحدُهما لبَن والآخرُ فيه خمر، فقيلَ لي: خذ أيَّهما شئتَ، فأخذتُ اللبن فشرِبْتُهُ، فَقيلَ لِي: هُدِيْتَ الفِطرةَ -أوْ أصبْتَ الفطرةَ- أمَا إنَّكَ لَوْ أخَذْتَ الخمرَ غوَتْ أمَّتُك».

٣٤٣٨ ـ عنْ ابن عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُمَا قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ: «رَأيتُ عيسىٰ وموسىٰ وإبراهيمَ، فأمَّا عيسىٰ فأحمرُ جعدٌ عريضُ الصدرِ، وأمَّا موسىٰ فآدمُ جَسيمٌ سبطٌ كأنَّهُ من رجال الزُّطِّ».

٣٤٣٩ ـ عنْ عبدِ اللّه «ذكرَ النبيُّ ﷺ يومًا بيْنَ ظَهري الناس المسيحَ الدجَّال فقالَ: إنَّ اللّه ليس بأعور، ألا إنَّ المسيح الدَّجَّال أعورُ العين اليُمنى، كأنَّ عينَهُ عنبةٌ طافية».

٣٤٤٠ ـ وأراني الليلةَ عند الكعبةِ في المنام، فإذَا رجل آدَمُ كأحسن ما يُرَى من أُدْمِ الرجال، تضربُ لمَّتُهُ بينَ مَنكِبَيه، رَجِلُ الشَّعرِ يقطرُ رأسُه ماءً، واضعًا يَدَيه على مَنْكِبي رجُلَين يَطوفُ بالبيت، فقلتُ: من هَذا؟ فَقالُوا: هَذا المَسيحُ بن مريمَ. ثم رأيتُ رجلاً وراءَهُ جَعداً قططاً أعورَ عينِ اليُمنى كأشبَه من رأيتُ بابن قَطَن، واضعاً يَدَيه على منكبي رجل يطوفُ بالبيت، فقلتُ من هذا؟ قالوا: المسيحُ الدجال».

[الحديث ٣٤٤٠ - أطرافه في: ٣٤٤١، ٥٩٠٢، ٦٩٩٩، ٧٠٢٦، ٧١٢٨]

٣٤٤١ ـ عنْ سالمٍ عن أبيه قال: «لا واللّه، ما قالَ النبيُّ ﷺ لعيسى أحمرُ، ولكن قال: بينما أنا نائم أطوفُ بالكعبة، فإذا رجل آدَمُ سبطُ الشعر يهادَى بين رجُلَين يَنطفُ رأسه ماءً -أو يُهراقُ رأسهُ ماءً- فقلتُ: من هذا؟ قالوا: ابنُ مريمَ، فَذَهبتُ فإذا رجلٌ أحمرُ جسيمٌ جعدُ الرأس أعورُ عينه اليمنى كأنَّ عينه عنبة طافية، قلت: مَن هذا؟ قالوا: هذا الدَّجال، وأقربُ النَّاس به شَبَهًا ابنُ قَطَن. قال الزُّهريُّ: رجُلٌ من خُزاعةَ هلك في الجاهلية».

٣٤٤٢ ـ عنْ أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللّهُ عنْهُ قالَ: «سَمِعْتُ رسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: أنَا أولى النَّاس بابن مريمَ، والأنبياءُ أولادُ علاَت ليسَ بيني وبينَهُ نبيٌ».

[الحديث ٣٤٤٢ - طرفه في: ٣٤٤٣]

٣٤٤٣ ـ عنْ أبي هريْرَةَ قالَ: «قالَ رسولُ اللّهِ ﷺ: أنَا أولى النَّاسِ بعيسى بن مريمَ في الدُّنيا والآخرة، والأنبياء إخْوة لعَلاَّت أُمَّهاتُهم شتَّى ودينُهم واحد».

٣٤٤٤ ـ عنْ أبي هُرَيرَةَ رضِيَ اللّهُ عنْهُ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «رَأىٰ عيسىٰ بن مريمَ رجُلاً يَسرق، فقالَ لهُ: أسرقتَ؟ قالَ: كلا واللّه الذي لا إلهَ إلا هو. فقال عيسىٰ: آمنتُ باللّهِ، وكذَّبْتُ عيني».

٣٤٤٥ ـ عن عمرَ رضيَ اللّهُ عنْهُ قال على المنبر: «سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: لا تُطْروني كما أطْرَتِ النصارَى ابنَ مريمَ، فإنما أنَا عبده، فقولوا: عبد اللّه ورسوله».

٣٤٤٦ ـ عنْ أبي موسىٰ الأشعريِّ رضيَ اللّهُ عنْهُ قال: قالَ رسولُ اللّه ﷺ «إذَا أدَّبَ الرَّجلُ أمَتَهُ فأحسنَ تأديبَها، وعلَّمها فأحسنَ تعليمَها، ثمَّ أعتقَها فَتزوَّجَها كان لهُ أجران، وإذا آمَنَ بعيسى ثم آمن بي فله أجران، والعبدُ إذا اتَّقى ربَّهُ وأطاع مواليَهُ فله أجران».

٣٤٤٧ - عنِ ابن عبَّاسٍ رضيَ اللهِ عنهُمَا قالَ: «قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «تُحشَرُونَ حُفَاةً عُراةً غُرْلاً. ثمَّ قرأَ {كما بَدَأْنَا أوَّلَ خلقٍ نُعيدُه وعداً علينا إنَّا كنا فاعلين} فأوَّلُ مَن يُكسى إبراهيمُ. ثُمَّ يؤخَذُ برجالٍ من أصحابي ذاتَ اليمين وذات الشمالِ، فأقولَ أصحابي، فيقال: إنهم لم يَزالوا مُرتدِّين على أعقابهم مُنذ فارقتَهُمْ، فأقول كما قال العبدُ الصالح عيسىٰ بن مريمَ {وكنتُ عليهم شهيداً ما دُمتُ فيهم، فلما تَوَفَّيتَني كنتَ أنتَ الرَّقيبَ عليهم وأنْتَ عَلَى كُلِّ شيء شهيد. إن تُعذِّبْهم فإنهم عبادُك، وإن تغفِرْ لَهُمْ فإنَّكَ أنْتَ العزيزُ الحكيم}

قال محمد بن يوسف الفِرَبْريُّ: ذُكِرَ عند أبي عبد الله عن قبيصةَ قال: همُ المرتَدُّون الذين ارتدُّوا على عهدِ أبي بكرٍ، فقاتلهم أبو بكر رضي الله عنه»

قوله (وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جريج).

والصومعة هي البناء المرتفع المحدد أعلاه.

قوله (فدعته فقال أجيبها أو أصلي) زاد المصنف في المظالم بالإسناد الذي ذكره هنا «فأبى أن يجيبها، ومعنى قوله أمي وصلاتي أي اجتمع على إجابة أمي وإتمام صلاتي فوفقني لأفضلهما، وفي رواية أبي رافع «فصادفته يصلي، فوضعت يدها على حاجبها فقالت: يا جريج، فقال: يارب أمي وصلاتي، فاختار صلاته،فرجعت. ثم أتته فصادفته يصلي فقالت: ياجريج أنا أمك فكلمني فقال مثله» فذكره. وفي حديث عمران بن حصين أنها جاءته ثلاث مرات تناديه في كل مرة ثلاث مرات، وفي رواية الأعرج عند الإسماعيلي «فقال أمي وصلاتي لربي، أؤثر صلاتي على أمي، ذكره ثلاثا».

وقد قدمت في أواخر الصلاة ذكر حديث يزيد ابن حوشب عن أبيه رفعه«لو كان جريج عالما لعلم أن إجابة أمه أولى من صلاته».

قوله (فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات) وفي حديث عمران بن حصين «فغضبت فقالت: اللهم لا يموتن جريج حتى ينظر في وجوه المومسات» والمومسات جمع مومسة وهي الزانية.

قوله (قالوا نبني صومعتك من ذهب، قال: لا إلا من طين) وفي رواية وهب بن جرير «ابنوها من طين كما كانت» وفي رواية أبي رافع «فقالوا نبني ما هدمنا من ديرك بالذهب والفضة، قال: لا ولكن أعيدوه كما كان ففعلوا»، زاد في رواية أبي سلمة «فردوها فرجع في صومعته، فقالوا له: بالله مم ضحكت؟ فقال ما ضحكت إلا من دعوة دعتها علي أمي» وفي الحديث إيثار إجابة الأم على صلاة التطوع لأن الاستمرار فيها نافلة وإجابة الأم وبرها واجب. قال النووي وغيره: إنما دعت عليه فأجيبت لأنه كان يمكنه أن يخفف ويجيبها، لكن

لعله خشي أن تدعوه إلى مفارقة صومعته والعود إلى الدنيا وتعلقاتها، كذا قال النووي، وفيه نظر لما تقدم من أنها كانت تأتيه فيكلمها، والظاهر أنها كانت تشتاق إليه فتزوره وتقتنع برؤيته وتكليمه، وكأنه إنما لم يخفف ثم لم يجيبها لأنه خشي أن ينقطع خشوعه. وقد تقدم في أواخر الصلاة من حديث يزيد بن حوشب عن أبيه «أن النبي ﷺ قال: لو كان جريج فقيها لعلم أن إجابة أمه أولى من عبادة ربه» أخرجه الحسن بن سفيان، وهذا إذا حمل على إطلاقه استفيد منه جواز قطع الصلاة مطلقا لإجابة نداء الأم نفلا كانت أو فرضا، وهو وجه في مذهب الشافعي حكاه الروياني، وقال النووي تبعا لغيره: هذا محمول على أنه كان مباحا في شرعهم، وفيه نظر قدمته في أواخر الصلاة، والأصح عند الشافعية أن الصلاة إن كانت نفلا وعلم تأذي الوالد بالترك وجبت الإجابة وإلا فلا، وإن كانت فرضا وضاق الوقت لم تجب الإجابة، وإن لم يضق وجب عند إمام الحرمين. وخالفه غيره لأنها تلزم بالشروع، وعند المالكية أن إجابة الوالد في النافلة أفضل من التمادي فيها، وحكى القاضي أبو الوليد أن ذلك يختص بالأم دون الأب، وفي الحديث أيضا عظم بر الوالدين وإجابة دعائهما ولو كان الولد معذورا؛ لكن يختلف الحال في ذلك بحسب المقاصد. وفيه الرفق بالتابع إذا جرى منه ما يقتضي التأديب لأن أم جريج مع غضبها منه لم تدع عليه إلا بما دعت به خاصة، ولولا طلبها الرفق به لدعت عليه بوقوع الفاحشة أو القتل. وفيه أن صاحب الصدق مع الله لا تضره الفتن. وفيه قوة يقين جريج المذكور وصحة رجائه، لأنه استنطق المولود مع كون العادة أنه لا ينطق؛ ولولا صحة رجائه بنطقه ما استنطقه. وفيه أن الأمرين إذا تعارضا بدئ بأهمهما، وأن الله يجعل لأوليائه عند ابتلائهم مخارج، وإنما يتأخر ذلك عن بعضهم في بعض الأوقات تهذيبا وزيادة لهم في الثواب وفيه إثبات كرامات الأولياء، ووقوع الكرامة لهم باختيارهم وطلبهم، وفيه أن مرتكب الفاحشة لا تبقى له حرمة، وأن المفزع في الأمور المهمة إلى الله يكون بالتوجه إليه في الصلاة، وفيه أن الوضوء لا يختص بهذه الأمة خلافا لمن زعم ذلك، وإنما الذي يختص بها الغرة والتحجيل في الآخرة، وقد تقدم في قصة إبراهيم أيضا مثل ذلك في خبر سارة مع الجبار والله أعلم.

قوله (ذو شارة) أي صاحب حسن وقيل صاحب هيئة ومنظر وملبس حسن يتعجب منه ويشار إليه.

قوله (فقالت له ذلك[١]) أي سألت الأم ابنها عن سبب كلامه، وفي الحديث أن نفوس أهل الدنيا تقف مع الخيال الظاهر فتخاف سوء الحال، بخلاف أهل التحقيق فوقوفهم مع الحقيقة الباطنة فلا يبالون بذلك مع حسن السريرة كما قال تعالى حكاية عن أصحاب قارون حيث خرج عليهم {ياليت لنا مثل ما أوتي قارون وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله

(١) رواية الباب واليونينية "فقالت: لم ذاك"

خير}. وفيه أن البشر طبعوا على إيثار الأولاد على الأنفس بالخير لطلب المرأة الخير لابنها ودفع الشر عنه ولم تذكر نفسها.

قوله (كأنه من رجال الزط) جنس من السودان.

قوله (إلا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية) أي بارزة.

قوله (آدم) بالمد أي أسمر.

قوله (تضرب لمته) بكسر اللام أي شعر رأسه.

قوله (قططا) والمراد به شدة جعودة الشعر.

قوله (عن سالم) هو ابن عبد الله بن عمر.

قوله (لا والله ما قال رسول[1] الله ﷺ لعيسى أحمر) اللام في قوله «لعيسى» بمعنى عن وهي كقوله تعالى {وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه}.

قوله (بينا أنا نائم أطوف بالكعبة) هذا يدل على أن رؤيته للانبياء في هذه المرة غير المرة التي تقدمت في حديث أبي هريرة، فإن تلك كانت ليلة الإسراء وإن كان قد قيل في الإسراء إن جميعه منام، لكن الصحيح أنه كان في اليقظة.

قوله (يهادي) أي يمشي متمايلا بينهما.

قوله (ينطف) أي يقطر.

قوله (أنا أولى الناس بابن مريم) في رواية عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة «بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة» أي أخص الناس به وأقربهم إليه لأنه بشر بأنه يأتي من بعده.

قوله (والأنبياء أولاد علات) في رواية عبد الرحمن المذكورة «والأنبياء إخوة لعلات» والعلات بفتح المهملة الضرائر، وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه عل منها، والعلل الشرب بعد الشرب، وأولاد العلات الإخوة من الأب وأمهاتهم شتى، ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع، وقيل المراد أن أزمنتهم مختلفة.

قوله (ليس بيني وبينه نبي) هذا أورده كالشاهد لقوله أنه أقرب الناس إليه. واستدل به على أنه لم يبعث بعد عيسى أحد إلا نبينا ﷺ.

قوله (وكذبت عيني) وقال القرطبي: ظاهر قول عيسى للرجل «سرقت» أنه خبر جازم عما

(١) في المتن واليونينية "ما قال النبي ﷺ"

فعل الرجل من السرقة لكونه رآه أخذ مالا من حرز في خفية. وقول الرجل كلا نفي لذلك ثم أكده باليمين، وقول عيسى «آمنت بالله وكذبت عيني» أي صدقت من حلف بالله وكذبت ماظهر لي من كون الأخذ المذكور سرقة فإنه يحتمل أن يكون الرجل أخذ ماله فيه حق، أو ما أذن له صاحبه في أخذه، أو أخذه ليقلبه وينظر فيه ولم يقصد الغصب والاستيلاء. قال ويحتمل أن يكون عيسى كان غير جازم بذلك، وإنما أراد استفهامه بقوله سرقت؟ وتكون أداة الاستفهام محذوفة وهو سائغ كثير انتهى. واحتمال الاستفهام بعيد مع جزمه ﷺ بأن عيسى رأى رجلا يسرق، واحتمال كونه يحل له الأخذ بعيد أيضًا بهذا الجزم بعينه، والأول مأخوذ من كلام القاضي عياض، وقد تعقبه ابن القيم في كتابه «إغاثه اللهفان» فقال: هذا تأويل متكلف، والحق أن الله كان في قلبه أجَلَّ مِنْ أن يحلف به أحد كاذبا، فدار الأمر بين تهمة الحالف وتهمة بصره فرد التهمة إلى بصره، كما ظن آدم صدق إبليس لما حلف له أنه له ناصح. قلت: وليس بدون تأويل القاضي في التكلف، والتشبيه غير مطابق والله أعلم. واستدل به على درء الحد بالشبهة، وعلى منع القضاء بالعلم، والراجح عند المالكية والحنابلة منعه مطلقا، وعند الشافعية جوازه إلا في الحدود وهذه الصورة من ذلك، وسيأتي بسطه في كتاب الأحكام(١) إن شاء الله تعالى.

قوله (لا تطروني) والإطراء المدح بالباطل.

قوله (كما أطرت النصارى ابن مريم) أي في دعواهم فيه الإلهية وغير ذلك.

قوله (إذا أدب الرجل(٢) أمته) يأتي الكلام عليه في النكاح(٣).

قوله (وإذا آمن الرجل بعيسى ثم آمن بي فله أجران) تقدم مباحث ذلك في كتاب العلم(٤) مستوفاة، وفيه إشارة إلى أنه لم يكن بين عيسى وبين نبينا ﷺ نبي.

٤٩ ـ باب نُزولِ عيسىٰ بن مريم عليهما السلام

٣٤٤٨ ـ عن أبي هُرَيرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «والَّذي نَفْسي بِيَدِهِ، ليُوشِكنَّ أن ينزلَ فيكُمْ ابنُ مريمَ حكمًا عدلاً، فيكسرَ الصليبَ، ويقْتُلَ الخنزيرَ، ويَضَعَ الحرب، ويفيضَ المالُ حتى لا يقبَلَهُ أحد، حتى تكونَ السجدةُ الواحدة خيراً منَ الدنيا وما فيها. ثمَّ يقولُ أبو هريرَةَ: واقْرَءُوا إن شئْتم {وإنْ مِن أهلِ الكتابِ إلا لَيُؤمنَنَّ بهِ قبلَ موتهِ، ويومَ القيامةِ يكونُ عليهم شهيدا}.

---

(١) كتاب الأحكام باب / ١٤ ح ٧١٦١ - ٥ / ٤٢٨
(٢) رواية الباب واليونينية بدون "الرجل"
(٣) كتاب النكاح باب / ١٣ ح ٥٠٨٣ - ٤ / ٤٥
(٤) كتاب العلم باب / ٣١ ح ٩٧ - ١ / ١٠٧

٣٤٤٩ ـ عنْ أبِي هُريرَةَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ أنْتُمْ إذَا نَزَلَ ابنُ مريمَ فيكم وإمامُكم منكم»

قوله (ليوشكن) أي ليقربن أي لابد من ذلك سريعا.

قوله (أن ينزل فيكم) أي في هذه الأمة، فإنه خطاب لبعض الأمة ممن لا يدرك نزوله.

قوله (حكما) أي حاكما، والمعنى أنه ينزل حاكما بهذه الشريعة فإن هذه الشريعة باقية لا تنسخ، بل يكون عيسى حاكما من حكام هذه الأمة. وفي رواية الليث عن ابن شهاب عند مسلم «حكما مقسطا» وله من طريق ابن عيينة عن ابن شهاب «إماما مقسطا» والمقسط العادل بخلاف القاسط فهو الجائر.

قوله (فيكسر الصليب ويقتل الخنزير) أي يبطل دين النصرانية بأن يكسر الصليب حقيقة ويبطل ماتزعمه النصارى من تعظيمه، ويستفاد منه تحريم اقتناء الخنزير وتحريم أكله وأنه نجس، لأن الشيء المنتفع به لا يشرع إتلافه، وقد تقدم ذكر شيء من ذلك في أواخر البيوع[١]، ويستفاد منه أيضا تغيير المنكرات وكسر آلة الباطل.

قوله (ويضع الحرب) والمعنى أن الدين يصير واحداً فلا يبقى أحد من أهل الذمة يؤدي الجزية، وقيل معناه أن المال يكثر حتى لا يبقى من يمكن صرف مال الجزية له فتترك الجزية استغناء عنها، وقال عياض: يحتمل أن يكون المراد بوضع الجزية تقريرها على الكفار من غير محاباة، ويكون كثرة المال بسبب ذلك. وتعقبه النووي وقال: الصواب أن عيسى لا يقبل إلا الإسلام.

قال النووي: ومعنى وضع عيسى الجزية مع أنها مشروعة في هذه الشريعة أن مشروعيتها مقيدة بنزول عيسى لما دل عليه هذا الخبر،وليس عيسى بناسخ لحكم الجزية بل نبينا ﷺ هو المبين للنسخ بقوله هذا، قال ابن بطال: وإنما قبلناها قبل نزول عيسى للحاجة إلى المال بخلاف زمن عيسى فإنه لا يحتاج فيه إلى المال فإن المال في زمنه يكثر حتى لا يقبله أحد، ويحتمل أن يقال إن مشروعية قبولها من اليهود والنصارى لما في أيديهم من شبهة الكتاب وتعلقهم بشرع قديم بزعمهم، فإذا نزل عيسى عليه السلام زالت الشبهة بحصول معاينته فيصيرون كعبدة الأوثان في انقطاع حجتهم وانكشاف أمرهم، فناسب أن يعاملوا معاملتهم في عدم قبول الجزية منهم.هكذا ذكره بعض مشايخنا احتمالا والله أعلم.

قوله (ويفيض المال) أي يكثر وسبب كثرته نزول البركات وتوالي الخيرات بسبب العدل وعدم الظلم وحينئذ تخرج الأرض كنوزها وتقل الرغبات في اقتناء المال لعلمهم بقرب الساعة.

---

(١) كتاب البيوع باب ١٠٢ ح ٢٢٢٢ - ٢ / ٢٨٦

قوله (حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها) أي أنهم حينئذ لا يتقربون إلى الله إلا بالعبادة،لا بالتصدق بالمال، وقيل معناه أن الناس يرغبون عن الدنيا حتى تكون السجدة الواحدة أحب إليهم من الدنيا وما فيها.

قوله (ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته} الآية) {وإن} بمعنى ما، أي لا يبقى أحد من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى إذا نزل عيسى إلا آمن به، وهذا مصير من أبي هريرة إلى أن الضمير في قوله {إلا ليؤمنن به} وكذلك في قوله {قبل موته} يعود على عيسى، أي إلا ليؤمن بعيسى قبل موت عيسى، وبهذا جزم ابن عباس فيما رواه ابن جرير من طريق سعيد بن جبير عنه بإسناد صحيح.

قال العلماء: الحكمة في نزول عيسى دون غيره من الأنبياء الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه، فبين الله تعالى كذبهم وأنه الذي يقتلهم، وروى مسلم من حديث ابن عمر في مدة إقامة عيسى بالأرض بعد نزوله أنها سبع سنين .

وقد اختلف في موت عيسى عليه السلام قبل رفعه، والأصل فيه قوله تعالى {إني متوفيك ورافعك} فقيل على ظاهره، وعلى هذا فإذا نزل إلى الأرض ومضت المدة المقدرة له يموت ثانيا. وقيل معنى قوله {متوفيك} من الأرض، فعلى هذا لايموت إلا في آخر الزمان.

قوله (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم)، وقال أبو الحسن الخسعي الابدي في مناقب الشافعي: تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى يصلي خلفه.وقال أبو ذر الهروي: حدثنا الجوزقي عن بعض المتقدمين قال: معنى قوله «وإمامكم منكم» يعني أنه يحكم بالقرآن لا بالإنجيل. وقال ابن التين: معنى قوله «وإمامكم منكم» أن الشريعة المحمدية متصلة إلى يوم القيامة، وأن في كل قرن طائفة من أهل العلم. وهذا والذي قبله لا يبين كون عيسى إذا نزل يكون إمامًا أو مأموما، وعلى تقدير أن يكون عيسى إماما فمعناه أنه يصير معكم بالجماعة من هذه الأمة. قال الطيبي: المعنى يؤمكم عيسى حال كونه في دينكم، ويعكر عليه قوله في حديث آخر عند مسلم «فيقال له: صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة لهذه الأمة: وقال ابن الجوزي، لو تقدم عيسى إمامًا لوقع في النفس إشكال ولقيل: أتراه تقدم نائبا أو مبتدئا شرعا، فصلى مأموما لئلا يتدنس بغبار الشبهة وجه قوله «لانبي بعدي».وفي صلاة عيسى خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال أن الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجة. والله أعلم.

٥٠ ـ باب ما ذُكرَ عن بني إسرائيل

٣٤٥٠ ـ قالَ عُقبة بنُ عمرو لحذيفةَ: ألا تحدِّثنا ما سمعتَ من رسولِ اللهِ ﷺ؟ قالَ: إني سمعتُه يقول: إن معَ الدجالِ إذا خَرَجَ ماءً وناراً، فأما التي يَرى الناسُ أنها النارُ فماءٌ بارد، وأما الذي يرى الناس أنه ماءٌ بارد فنارٌ تحرِق. فمن أدركَ مِنكم فلْيَقعْ في الذي يرى أنها نار، فإنه عذبٌ بارد».

[الحديث ٣٤٥٠ - طرفه في: ٧١٣٠]

٣٤٥١ ـ قالَ حذيفة: وسمعته يقول: إن رجُلا كان فيمَن كان قبلكم أتاهُ الملكُ ليَقبِضَ رُوحَه، فقيل لهُ: هلْ عملتَ من خير؟ قال: ما أعلمُ. قيل له: انظر. قال ما أعلم شيئًا، غيرَ أني كنتُ أبايعُ الناسَ فِي الدنيا وأجازِيهم، فأنظِرُ الموسرَ وأتجاوزُ عنِ المعسرِ. فأدخَلَهُ اللهُ الجنة».

٣٤٥٢ ـ قالَ: «وسمعته يقول: إن رجلا حَضَرَهُ الموتُ، فلما يَئِسَ منَ الحياة أوصى أهله: إذا أنا مُت فاجمَعوا لي حَطَبًا كَثيراً وأوقدوا فيه ناراً، حتى إذا أكلَتْ لحمي وخَلصَتْ إلى عظمي فامتحَشْتُ، فخذوها فَاطْحَنُوها ثم انظروا يومًا راحاً فاذروه في اليمِّ: فَفَعَلوا. فجمعَه الله فقال لهُ: لم فعلتَ ذلك؟ قال: من خَشيتكَ. فَغَفرَ الله له». قالَ عُقبة بن عمرو (وأنا سمعتهُ يقول ذاكَ وكان نبَّاشاً)

[الحديث ٣٤٥٢-طرفاه في: ٣٤٧٩، ٦٤٨٠]

٣٤٥٣، ٣٤٥٤ ـ عَنْ عائشةَ وابن عبَّاسٍ رضي اللهُ عنهم قالا: «لَمَّا نُزِلَ برسولِ الله ﷺ طفقَ يطرَحُ خميصةً على وجهه، فإذا اغتمَّ كشفَها عن وَجهِه فقالَ وهو كذلك لعنةُ الله على اليهود والنصارَى، اتَّخَذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ. يُحذِّرُ مَا صَنَعوا».

٣٤٥٥ ـ عن أبِي حازمٍ قال: قاعَدْتُ أبا هريرةَ خَمس سنينَ، فسمعتُه يُحدِّث عن النبيِّ ﷺ قالَ: «كَانتْ بنو إسْرائيلَ تَسوسُهُمْ الأنبياءُ، كلما هلكَ نبيٌّ خَلَفه نبيٌّ، وإنهُ لا نبيَّ بعدي، وسيكونُ خُلفَاءُ فيَكثُرون. قالوا: فما تَأمُرنا؟ قال: فُوا ببيعة الأوّل فالأوّل، أعطوهم حقَّهم، فإنَّ اللهَ سائلُهم عَمَّا استَرعاهم».

٣٤٥٦ ـ عنْ أبِي سَعيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «لَتتَّبِعُنَّ سَنَنَ من كان قبلَكُمْ شبراً بشبرٍ وذراعًا بذِراعٍ، حتى لو سَلَكوا جُحرَ ضَبٍّ لسَلَكتُموهُ. قلنا: يا رسولَ اللهِ، اليهود والنصارَى؟ قال: فمن؟».

[الحديث ٤٣٥٦ - طرفه في: ٧٣٢٠]

٣٤٥٧ ـ عن أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: «ذكروا النارَ والناقوسَ فذكروا اليهودَ والنصارى، فأمِرَ بلالٌ أن يَشفَعَ الأذان وأن يُوترَ الإقامة».

٣٤٥٨ - عنْ عائِشَةَ رضيَ اللَّهُ عنهَا كانَتْ تَكرَهُ أن يجعلَ المصلّي يدَهُ في خاصرته وتقول: إنَّ اليهودَ تَفعله».

٣٤٥٩ - عنِ ابن عُمَرَ رضيَ الله عنهما عن رسولِ الله ﷺ قالَ: «إنما أجَلُكم -في أجَل من خَلا من الأمم- ما بينَ صلاة العصر إلى مغربِ الشمس. وإنما مثلكم ومَثَلُ اليهود والنصارَى كرجُل استعملَ عُمالاً فقالَ: من يَعملُ لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهودُ إلى نصف النهار على قيراط قيراط. ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراطٍ قيراطٍ؟ فعمِلَتِ النصارَى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط. ثُمَّ قال: مَن يَعمل لي من صلاة العصر إلى مَغرِب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذينَ يَعملونَ من صلاة العصر إلى مَغرب الشمس على قيراطين قيراطين، ألا لكُمُ الأجرُ مرَّتين. فغضبَت اليهودُ والنصارى فقالوا: نحنُ أكثرُ عملاً وأقلُّ عَطاءً، قال الله: هل ظلمتُكم من حقِّكم شيئاً؟ قالوا: لا. قال: فإنه فضلي، أعطِيه من شئتُ».

٣٤٦٠ - عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ «سَمِعْتُ عمرَ رضيَ اللَّهُ عَنْهُ يقُولُ: قَاتلَ اللَّهُ فُلاناً، ألم يَعلَم أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: لعنَ اللَّهُ اليهودَ، حُرِّمَتْ عَلَيهِم الشحومُ فجمَّلوها فباعوها».

٣٤٦١ - عنْ عبدِ الله بن عَمْرو أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «بَلِّغُوا عني ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إسرائيلَ ولا حَرَج، ومَن كذَبَ عليَّ مُتعمِّداً فليتَبوّأْ مَقعدَهُ منَ النَّار».

٣٤٦٢ - عنْ أبِي هُرَيرَةَ رضيَ اللَّهُ عنْهُ قالَ: «إنَّ رسُولَ اللهِ ﷺقالَ: «إنَّ اليهودَ والنَّصارَى لا يَصبغون، فخالفوهم».

[الحديث ٣٤٦٢ - طرفه في: ٥٨٩٩]

٣٤٦٣ - عن الحسنِ حدَّثنا جُندبُ بن عبدِ اللهِ في هذا المسجد، وما نَسينا منذُ حدَّثَنا، وما نَخشىٰ أن يكونَ جُندبٌ كذبَ على النبيِّ ﷺ قال: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «كانَ فيمَن كان قبلَكم رجُلٌ به جُرحٌ فجزِعَ فأخذَ سكينًا فحَزَّ بها يده، فما رقأ الدَّمُ حتى مات، قال الله تعالى بادَرَني عبدي بنفسه، حَرَّمتُ عليه الجنة» .

قوله (باب ما ذكر عن بني إسرائيل) أي ذرية يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، وإسرائيل لقب يعقوب، أي من الأعاجيب التي كانت في زمانهم.

قوله (إن مع الدجال إذا خرج ماء) الحديث يأتي الكلام عليه مستوفى في كتاب الفتن[1].

---

(١) كتاب الفتن باب / ٢٦ ح ٧١٣٠ - ٥ / ٤٠٦

قوله (فامتحشت) أي احترقت .

قوله (ثم انظروا يوما راحا) أي شديد الريح.

قوله (تسوسهم الأنبياء) أي أنهم كانوا إذا ظهر فيهم فساد بعث الله لهم نبيا يقيم لهم أمرهم ويزيل ما غيروا من أحكام التوراة، وفيه إشارة إلى أنه لابد للرعية من قائم بأمورها يحملها على الطريق الحسنة وينصف المظلوم من الظالم.

قوله (وأنه لانبي بعدي) أي فيفعل ما كان أولئك يفعلون.

قوله (وسيكون خلفاء) أي بعدي.

قوله (فوا) فعل أمر بالوفاء، والمعنى أنه إذا بويع الخليفة بعد خليفة فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها وبيعة الثاني باطلة، قال النووي: سواء عقدوا للثاني عالمين بعقد الأول أم لا، سواء كانوا في بلد واحد أو أكثر. سواء كانوا في بلد الإمام المنفصل أم لا.هذا هو الصواب الذي عليه الجمهور.

وقال القرطبي: في هذا الحديث حكم بيعة الأول وأنه يجب الوفاء بها، وسكت عن بيعة الثاني. وقد نصب عليه في حديث عرفجة في صحيح مسلم حيث قال: «فاضربوا عنق الآخر».

قوله (أعطوهم حقهم) أي أطيعوهم وعاشروهم بالسمع والطاعة، فإن الله يحاسبهم على ما يفعلونه بكم، وستأتي تتمة القول في ذلك في أوائل كتاب الفتن[١] .

قوله (فإن الله سائلهم عما استرعاهم) وفي الحديث تقديم أمر الدنيا لأنه ﷺ أمر بتوفية حق السلطان لما فيه من إعلاء كلمة الدين وكف الفتنة والشر، وتأخير أمر المطالبة بحقه لا يسقطه، وقد وعده الله أنه يخلصه ويوفيه إياه ولو في الدار الآخرة.

قوله (قال النبي[٢] ﷺ: فمن) أي ليس المراد غيرهم.

قوله (وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) أي لا ضيق عليكم في الحديث عنهم لأنه كان تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم ثم حصل التوسع في ذلك، وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار، وقيل المراد ببني إسرائيل أولاد إسرائيل نفسه وهم أولاد يعقوب، وقال مالك المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أمر حسن، أما ما علم كذبه فلا، وقال الشافعي: من المعلوم أن النبي ﷺ لا يجيز التحدث بالكذب، فالمعنى حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه، وأما ما تجوزونه فلا

(١) كتاب الفتن باب / ٢ ح ٧٠٥٢ - ٥ / ٣٦٢

(٢) رواية الباب واليونينية بدون "النبي ﷺ"

حرج عليكم في التحدث به عنهم وهو نظير قوله «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم» ولم يرد الإذن ولا المنع من التحدث بما يقطع بصدقه.

قوله (ومن كذب عليّ متعمداً) تقدم شرحه مستوفى في كتاب العلم[١]، وقد اتفق العلماء على تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ وأنه من الكبائر، حتى بالغ الشيخ أبو محمد الجويني فحكم بكفر من وقع منه ذلك، وكلام القاضي أبي بكر بن العربي يميل إليه.

قوله (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم) يقتضي مشروعية الصبغ، والمراد به صبغ شيب اللحية والرأس، ولا يعارضه ما ورد من النهي عن إزالة الشيب لأن الصبغ لا يقتضي الإزالة ثم إن المأذون فيه مقيد بغير السواد، لما أخرجه مسلم من حديث جابر أنه ﷺقال: «غيروه وجنبوه السواد»، ويستثنى من ذلك المجاهد اتفاقا. وسيأتي بسط القول في ذلك في كتاب اللباس[٢] إن شاء الله تعالى.

قوله (فما رقأ الدم) أي لم ينقطع.

قوله (قال الله عز وجل[٣]: بادرني عبدي بنفسه) هو كناية عن استعجال المذكور الموت، ودل ذلك على أنه حزها لإرادة الموت لا لقصد المداواة التي يغلب على الظن لانتفاع بها. وقد استشكل قوله «بادرني بنفسه» وقوله «حرمت عليه الجنة» لأن الأول يقتضي أن يكون من قتل فقد مات قبل أجله لما يوهمه سياق الحديث من أنه لو لم يقتل نفسه كان قد تأخر عن ذلك الوقت وعاش، لكنه بادر فتقدم، والثاني يقتضي تخليد الموحد في النار. والجواب عن الأول أن المبادرة من حيث التسبب في ذلك والقصد له والاختيار» وأطلق عليه المبادرة لوجود صورتها، وإنما استحق المعاقبة لأن الله لم يطلعه على انقضاء أجله فاختار هو قتل نفسه فاستحق المعاقبة لعصيانه، والجواب عن الثاني من أوجه: أحدها: أنه كان استحل ذلك الفعل فصار كافرا. ثانيها كان كافرا في الأصل وعوقب بهذه المعصية زيادة على كفره. ثالثها أن المراد أن الجنة حرمت عليه في وقت ما كالوقت الذي يدخل فيه السابقون أو الوقت الذي يعذب فيه الموحدون في النار ثم يخرجون. رابعها: أن المراد جنة معينة كالفردوس مثلا. خامسها: أن ذلك ورد على سبيل التغليظ والتخويف وظاهره غير مراد. سادسها: أن التقدير حرمت عليه الجنة إن شئت استمرار ذلك. سابعها: قال النووي يحتمل أن يكون ذلك شرع من مضى أن أصحاب الكبائر يكفرون بفعلها. وفي الحديث تحريم قتل النفس سواء كانت نفس القاتل أم غيره، وفيه الوقوف عند حقوق الله ورحمته بخلقه حيث حرم

---

(١) كتاب العلم باب / ٣٨ ح ١١٠ - ١ / ١١٢
(٢) كتاب اللباس باب / ٦٧ ح ٥٨٩٩ - ٤ / ٣٩٦
(٣) رواية الباب واليونينية "قال الله تعالى"

عليهم قتل نفوسهم وأن الأنفس ملك الله. وفيه التحديث عن الأمم الماضية وفضيلة الصبر على البلاء وترك التضجر من الآلام لئلا يفضي إلى أشد منها. وفيه تحريم تعاطي الأسباب المفضية إلى قتل النفس.

٥١ ـ باب حديث أبرصَ وأعمىً وأقرعَ في بني إسرائيلَ.

٣٤٦٤ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول: «إن ثلاثةً في بني إسرائيلَ أبرصَ وأقرعَ وأعمىً بدا لله عزَّ وجلَّ أن يَبتَليَهم فبعثَ إليهِمْ مَلَكاً، فأتى الأبرصَ فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: لونٌ حسَنٌ وجلدٌ حسَن، قد قَذرَني الناس. قال فمسحهُ فذَهَب عنه، فأُعطِيَ لوناً حسناً وجلداً حسناً. فقال: أيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الإبلُ -أو قال البقرُ، هو شَكَّ في ذلك: إن الأبرصَ والأقرعَ قالَ أحدُهما الإبلُ، وقال الآخر البقر- فأُعطيَ ناقةً عُشَراءَ، فقال: يُباركُ لك فيها. وأتى الأقرعَ فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: شعرٌ حسنٌ ويذهَبُ هذا عنّي، قد قَذرَني الناس. قال فمسحَهُ فذهبَ، وأُعطيَ شعراً حسناً. قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: البقرُ. قال فأعطاه بقرةً حاملاً، وقال: يُباركُ لك فيها. وأتى الأعمى فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: يردُّ اللهُ إليَّ بصري فأبصرُ به الناسَ. قال فمسحَهُ، فردَّ الله إليه بصره. قال فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الغنمُ، فأعطاه شاةً والداً، فأُنتجَ هذان وولَّدَ هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من بقر، ولهذا وادٍ منَ الغنم. ثُمَّ إنَّهُ أتى الأبرصَ في صورته وهيئته فقال: رجلٌ مسكينٌ تقطَّعتْ به الحبالُ في سفره فلا بلاغَ اليومَ إلا بالله ثمَّ بكَ، أسألكَ -بالذي أعطاكَ اللونَ الحسن والجلدَ الحسن والمالَ- بعيراً أتبلَّغُ به في سفري. فقال له: إنَّ الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرصَ يقذَرُكَ الناس فقيراً فأعطاكَ الله؟ فقال: لقد ورِثتُ لكابر عن كابر. فقال: إن كنت كاذباً فصيَّركَ اللهُ إلى ما كنتَ. وأتى الأقرعَ في صورته وهيئته، فقال له مثلَ ما قال لهذا، فردَّ عليه هذا، فقال: إن كنتَ كاذباً فصيَّركَ اللهُ إلى ماكنتَ، وأتى الأعمى في صورته فقال: رجلٌ مسكينٌ وابنُ السبيل وتقطَّعَت به الحبالُ في سفره، فلا بلاغَ اليوم إلا بالله ثُمَّ بك، أسألك بالذي ردَّ عليك بصرَك شاةً أتبلغُ بها في سفري. وقال له: قد كنتُ أعمى فردَّ اللهُ بصري وفقيراً فقد أغناني، فخذْ ما شئتَ، فو الله لا أجهَدُكَ اليومَ بشيءٍ أخذتَهُ لله. فقال أمسكْ مالك، فإنَّما ابتُليتُمْ، فقد رضي الله عنك وسَخط َعلى صاحبيك».

(الحديث ٣٤٦٤-طرفه في:٦٦٥٣)

قوله (بدا لله) أي سبق في علم الله فأراد إظهاره، وليس المراد أنه ظهر له بعد أن كان خافيا لأن ذلك محال في حق الله تعالى، وفي الحديث جواز ذكر ما اتفق لمن مضى ليتعظ به من سمعه ولا يكون ذلك غيبة فيهم، ولعل هذا هو السر في ترك تسميتهم، ولم يفصح بما

اتفق لهم بعد ذلك، والذي يظهر أن الأمر فيهم وقع كما قال الملك. وفيه التحذير من كفران النعم والترغيب في شكرها والاعتراف بها وحمد الله عليها، وفيه فضل الصدقة والحث على الرفق بالضعفاء وإكرامهم وتبليغهم مآربهم، وفيه الزجر عن البخل، لأنه حمل صاحبه على الكذب وعلى جحد نعمة الله تعالى.

٥٢ ـ باب {أم حسبتَ أنَّ أصحابَ الكهفِ والرَّقيم}

{الكهف}: الفتحُ في الجبل}. {والرَّقيم}: الكتاب. {مرقوم}: مكتوب، منَ الرقْم {ربَطنا على قلوبهم}: ألهمناهم صبراً. {شَطَطا}: إفراطا. {الوَصيد}: الفِنَاءُ، وجمعهُ وصائدُ ووُصد، ويقال: الوصيد الباب. {مُؤصَدَة} مُطبَقة، آصَدَ البابَ وأوصدَ. {بَعثناهم} أحييناهم. {أزكَى}: أكثرُ ريْعاً. {فضرَبَ اللهُ على آذانهم}: فناموا. {رجمًا بالغيب}: لم يَستَبِن. وقال مجاهد {تقرِضُهم}: تتركهم.

(تنبيه): لم يذكر المصنف في هذه الترجمة حديثا مسندا. وقد روى عبد بن حميد بإسناد صحيح عن ابن عباس قصة أصحاب الكهف مطولة غير مرفوعة، وملخص ما ذكر أن ابن عباس غزا مع معاوية الصائفة فمروا بالكهف الذي ذكرالله في القرآن، فقال معاوية أريد أن أكشف عنهم، فمنعه ابن عباس، فصمم وبعث ناسا، فبعث الله ريحا فأخرجتهم، قال فبلغ ابن عباس فقال: إنهم كانوا في مملكة جبار يعبد الأوثان فلما رأوا ذلك خرجوا منها فجمعهم الله على غير ميعاد، فأخذ بعضهم على بعض العهود والمواثيق، فجاء أهاليهم يطلبونهم ففقدوهم، فأخبروا الملك فأمر بكتابة أسمائهم في لوح من رصاص وجعله في خزانته، فدخل الفتية الكهف فضرب الله على آذانهم فناموا. فأرسل الله من يقلبهم وحول الشمس عنهم فلو طلعت عليهم لأحرقتهم، ولولا أنهم يقلبون لأكلتهم الأرض. ثم ذهب ذلك الملك وجاء آخر فكسر الأوثان وعبد الله وعدل، فبعث الله أصحاب الكهف فأرسلوا واحدا منهم يأتيهم بما يأكلون فدخل المدينة مستخفيًا فرأى هيئة وناسًا أنكرهم لطول المدة، فدفع درهما إلى خباز فاستنكر ضربه وهم بأن يرفعه إلى الملك، فقال أتخوفني بالملك وأبي دهقانه؟ فقال: من أبوك؟ قال فلان، فلم يعرفه، فاجتمع الناس فرفعوه إلى الملك فسأله فقال عليّ باللوح وكان قد سمع به فسمى أصحابه فعرفهم من اللوح، فكبر الناس وانطلقوا إلى الكهف وسبق الفتى لئلا يخافوا من الجيش، فلما دخل عليهم عمى الله على الملك ومن معه المكان فلم يدر أين ذهب الفتى، فاتفق رأيهم على أن يبنواعليهم مسجدا فجعلوا يستغفرون لهم ويدعون لهم.

٥٣ ـ باب. حديثُ الغارِ

٣٤٦٥ ـ عن ابن عُمَرَ رضيَ اللهُ عنهُمَا أنَّ رسولَ الله ﷺ قَال«بينَما ثلاثةُ نَفرٍ ممَّن كان قبلَكم إذ أصابهم مَطر، فأوَوا إلى غارٍ فانطبقَ عليهم، فقال بعضُهم لبعض: إنهُ واللهِ

يا هؤلاء لا يُنجيكم إلا الصِّدق، فليَدْعُ كلُّ رجُل منكم بما يعلم أنهُ قد صدَقَ فيه. فقال واحدٌ منهم: اللَّهُمَّ إن كنتَ تعلَمُ أنه كان لي أجيرٌ عمِلَ لي على فرقٍ من أرُزٍّ، فذهب وتركهُ، وأني عمَدْتُ إلى ذلك الفرقِ فزرعتهُ، فصار من أمرِهِ أني اشتريتُ منهُ بقراً، وأنَّهُ أتاني يطلبُ أجره، فقلت له: اعمَدْ إلى تلك البقرِ فسقها، فقال لي: إنما لي عندك فرق من أرزٍّ. فقلت له: اعمد إلى تلك البقر، فإنها من ذلكَ الفرقِ. فساقَها. فإن كنتَ تعلم أني فعلت ذلكَ من خَشيَتك ففرِّج عنا فَانسَاخَتْ عنهمُ الصخرة. فقال الآخرُ: اللهمَّ إن كنتَ تعلمُ أنهُ كان لي أبوانِ شيخانِ كبيران، وكنتُ آتيهما كلَّ ليلةٍ بلبنِ غنمٍ لي، فأبطأتُ عنهما ليلةً فجئتُ وقد رقَدا وأهلي وعيالي يتَضاغوْنَ منَ الجوعِ، وكنت لا أسقيهم حتى يَشربَ أبوايَ، فَكرِهتُ أن أوقظهما، وكرهتُ أن أدَعَهما فيَستَكنَّا لشَربتهما، فلم أزلْ أنتظرُ حتى طلعَ الفجر. فإن كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلك من خَشيتَكَ ففرِّجْ عنَّا. فَانسَاخَتْ عنهمُ الصخرةُ حتى نَظروا إلى السماء . فقال الآخر: اللهمَّ إن كنتَ تَعلم أنَّهُ كانَ لِي ابنةُ عمٍّ من أحبِّ الناس إليَّ، وأنِّي راودتُها عن نفسها فأبَتْ إلا إنْ آتِيهَا بمائةِ دينارٍ، فطلبتُها حتى قدَرْتُ، فأتيتُها بها فدفَعْتُهَا إليها، فأمكنَتْني مِن نفسِها، فلما قعَدْتُ بينَ رجليها فقالتِ اتَّقِ اللهَ ولا تَفُضَّ الخاتَمَ إلا بحقِّه، فقُمْتُ وتركتُ المائةَ الدِّنيار فإنْ تَعلمُ أني فعلتُ ذلكَ من خَشيتَكَ ففرِّج عنَّا، ففرَّجَ اللهُ عنهُمْ فَخرجُوا».

قوله (اللهم أن كنت تعلم) فيه إشكال لأن المؤمن يعلم قطعا أن الله يعلم ذلك، وأجيب بأنه تردد في عمله ذلك هل له اعتبار عند الله أم لا. وكأنه قال: إن كان عملي ذلك مقبولا فأجب دعائي.

قوله (على فرق) بفتح الفاء والراء بعدها قاف وقد تسكن الراء. وهو مكيال يسع ثلاثة آصع.

قوله (يتضاغون) الصياح ببكاء، وقوله «من الجوع» أي بسبب الجوع.

قوله (ولا تفض) أي لا تكسر، والخاتم كناية عن عذرتها، وكأنها كانت بكرا وكنَّت عن الإفضاء بالكسر، وعن الفرج بالخاتم، وفي هذا الحديث استحباب الدعاء في الكرب، والتقرب إلى الله تعالى بذكر صالح العمل، واستنجاز وعده بسؤاله. واستنبط منه بعض الفقهاء إستحباب ذكر ذلك في الاستسقاء، واستشكله المحب الطبري لما فيه من رؤية العمل، والاحتقار عند السؤال في الاستسقاء أولى لأنه مقام التضرع وأجاب عن قصة أصحاب الغار بأنهم لم يستشفعوا بأعمالهم وإنما سألوا الله إن كانت أعمالهم خالصة وقبلت أن يجعل جزاءها الفرج عنهم، فتضمن جوابه تسليم السؤال لكن بهذا القيد وهو حسن، وفيه فضل الإخلاص في العمل، وفضل بر الوالدين وخدمتهما وإيثارهما على الولد وتحمل المشقة

لأجلهما، وفيه فضل العفة والانكفاف عن الحرام مع القدرة، وأن ترك المعصية يمحو مقدمات طلبها، وأن التوبة تجبُّ ما قبلها. وفيه جواز الإجارة بالطعام المعلوم بين المتآجرين، وفضل أداء الأمانة، وإثبات الكرامة للصالحين. واستدل به على جواز بيع الفضولي، وقد تقدم البحث فيه في البيوع[١]. وفيه أن المستودع إذا اتجر في مال الوديعة كان الربح لصاحب الوديعة. قاله أحمد.

وقال الخطابي: خالفه الأكثر فقالوا: إذا ترتب المال في ذمة الوديع وكذا المضارب كأن تصرف فيه بغير ما أذن له فيلزم ذمته أنه إن اتجر فيه كان الربح له، وعن أبي حنيفة الغرامة عليه، وأما الربح فهو له لكن يتصدق به، وفصل الشافعي فقال: إن اشترى في ذمته ثم نقد الثمن من مال الغير فالعقد له والربح له، وإن اشترى بالعين فالربح للمالك، وقد تقدم نقل الخلاف فيه في البيوع أيضا. وفيه الإخبار عما جرى للأمم الماضية ليعتبر السامعون بأعمالهم فيعمل بحسنها ويترك قبيحها» والله أعلم.

٥٤ - باب * ٣٤٦٦ - عن أبي هُريرَةَ رضيَ اللّهُ عنهُ أنّه سمع رسولَ اللّه ﷺ يقول: «بَينا امرأةٌ تُرضعُ ابنَها إذ مرَّ بها راكبٌ وهيَ تُرضِعهُ فقالت: اللهمَّ لا تُمتْ ابني حتى يكونَ مثلَ هذا، فقال: اللهمَّ لا تجعَلْني مثلَهُ. ثمَّ رجعَ في الثَّدْيِ ومُرَّ بامرأةٍ تُجَرَّرُ ويُلعَبُ بها، فقالت: اللّهمَّ لا تَجعل ابني مثلَها، فقال اللهمَّ اجعَلْني مثلَها. فقال: أما الراكبُ فإنَّهُ كافر، وأمَّا المرأةُ فإنهم يقولون لهَا: تَزني، وتقول: حسبي اللّه. ويقولونَ: تَسرق، وتقول حسبيَ اللّه».

٣٤٦٧ - عن أبي هريرة رضِيَ اللّهُ عنهُ قال: «قالَ النبيُّ ﷺ «بَينَما كلبٌ يُطيفُ بركيَّةٍ كادَ يَقتلُهُ العطشُ، إذ رأته بَغِيٌّ من بغايا بني إسرائيلَ، فنزعَتْ مُوقَها فسقَتْه، فَغُفر لها به»

٣٤٦٨ - عَنْ حُمَيد بنِ عبدِ الرحمنِ أنَّهُ «سمعَ مُعاويةَ بن أبي سُفيان -عامَ حجَّ- على المنبَرِ، فتناوَلَ قُصَّةً من شعرٍ -وكانت في يد حرسِيٍّ- فقال: يا أهلَ المدينةِ، أين عُلَماؤكم؟ سمعتُ النبيَّ ﷺ يَنهى عن مثلِ هذه ويقول: إنما هلكَتْ بنو إسرائيلَ حين اتَّخذَ هذه نساؤُهم».

[الحديث ٣٤٦٨ - أطرافه في: ٣٤٨٨، ٥٩٣٢، ٥٩٣٨]

٣٤٦٩ - عن أبي هُريرَةَ رضيَ اللّهُ عنهُ عنِ النبيِّ ﷺ «قالَ: إنَّهُ قَدْ كانَ فيما مضى قبلكم من الأمم محدَّثون، وإنهُ إنْ كانَ في أُمَّتي هذه منهم فإنهُ عمرُ بن الخطاب».

[الحديث ٣٤٦٩ - طرفه في: ٣٦٨٩]

(١) كتاب الإجارة باب / ١٢ ح ٢٢٧٢ - ٢ / ٣٠٦

٣٤٧٠ - عنْ أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي اللَّهُ عنه عنِ النبيِّ ﷺ قال: «كانَ في بني إسرائيلَ رجُلٌ قتلَ تسعةً وتسعينَ إنسانا، ثمَّ خرَجَ يَسألُ، فأتى راهبًا فسألهُ فقال له: هل من توبةٍ؟ قال: لا، فقتله. فجعلَ يسأل، فقال له رجلٌ ائت قريةَ كذا وكذا، فأدركَهُ الموتُ فناءَ بصدره نحوَها، فاختصمَتْ فيه ملائكةُ الرحمة وملائكةُ العذاب، فأوحى[1] اللَّهُ إلى هذه أنْ تَقرَّبي، وأوحى اللَّهُ إلى هذه أن تَباعَدي، وقال: قيسوا ما بينهما، فوُجِدَ إلى هذه أقربَ بشِبرٍ، فغُفِرَ لَهُ».

٣٤٧١ - عن أبي هريرةَ رضيَ اللَّه عنهُ قال: «صلَّى رسولُ اللَّه ﷺ صلاةَ الصبحِ ثمَّ أقبَلَ علَى النَّاسِ فقال: بَينا رجلٌ يسوقُ بقرةً إذ ركِبَها فضربَهَا، فقالَتْ: إنَّا لَمْ نُخلَقْ لهذا، إنما خُلِقنا للحَرْثِ. فقال الناسُ: سُبحانَ اللَّه، بقرةٌ تكلَّمُ؟ فقال: فإني أومِنُ بهذا أنا وأبو بكرٍ وعمرُ. وما هما ثَمَّ. وبينما رجلٌ في غنمه إذ عَدا الذِّئبُ فذهبَ منها بشاةٍ، فطلَبَ حتى كأنَّهُ استنقذَها منه، فقال له الذئبُ: هذا استنقَذْتَها مني، فمن لها يومَ السَّبُعِ، يومَ لاراعيَ لها غيري؟ فقال الناسُ: سُبحانَ اللَّه، ذئبٌ يتكلم؟ قال: فإني أومنُ بهذا أنا وأبو بكر وعمرُ ما هما ثمَّ».

٣٤٧٢ - عنْ أبي هريرةَ رضي اللَّهُ عنهُ قال: قالَ النبيُّ ﷺ: «اشترَى رجلٌ من رجل عَقاراً له، فَوجدَ الرجلُ الذي اشترَى العَقارَ في عَقاره جَرَّةً فيها ذهب؛ فقال له الذي اشترى العَقارَ: خُذ ذهبَك مني، إنما اشتريتُ منكَ الأرضَ ولم أبتعْ منك الذهب. وقال الذي له الأرضُ إنما بعتُكَ الأرضَ ومَا فيها، فَتَحاكما إلى رجلٍ، فقال الذي تحاكما إليه ألَكُمَا ولدٌ؟ قالَ أحدهما: لي غُلامٌ، وقال الآخرُ: لي جاريةٌ، قال أنكحوا الغُلامَ الجاريةَ، وأنفقوا على أنفُسهما منه، وتصدَّقا».

٣٤٧٣ - عن عامرِ بنِ سعدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ عن أبيه أنَّهُ سمعهُ يسألُ أسامةَ بن زيدٍ: ماذا سمعتَ من رسول اللَّه ﷺ في الطاعون؟ فقال أسامة: «قال رسولُ اللَّه ﷺ الطاعون رِجسٌ أُرسِلَ على طائفةٍ من بني إسرائيل -أو على من كان قبلكم- فإذا سمعتم به بأرضٍ فلا تَقدَموا عليه، وإذا وقعَ بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرُجوا فراراً منه» قال أبو النضر «لا يُخرِجكم إلا فراراً منه».

[الحديث ٣٤٧٣-طرفاه في:٥٧٢٨،٦٩٧٤]

٣٤٧٤ - عن عائشةَ رضيَ اللَّهُ عنهَا زوجِ النبيِّ ﷺ قالت: «سألتُ رسولَ اللَّه ﷺ عنِ الطاعون، فأخبرَني أنهُ عذابٌ يَبعثُه اللَّهُ على من يشاء، وأنَّ اللَّهَ جعَلهُ رحمةً للمؤمنين، ليسَ من أحدٍ يَقعُ الطاعون فيمكثُ في بلده صابِراً محتَسِبًا يعلَمُ أنهُ لا يُصيبُهُ إلا ما

(١) رواية الباب واليونينية "وأوحى الله ..."

كتبَ اللَّهُ له إلا كان له مثلُ أجر شهيد».

[الحديث ٣٤٧٤ - طرفاه في: ٥٧٣٤، ٦٦١٩]

٣٤٧٥ ـ عن عائشةَ رضيَ اللَّهُ عنْهَا «أنَّ قريشًا أهمَّهم شأنُ المرأة المخزومية التي سَرَقَت، فقالوا: ومَن يكلِّمُ فيها رسولَ الله ﷺ؟ فقالوا ومن يَجْتَرِئُ عليه إلا أُسامةُ بنُ زيد حِبُّ رسولِ اللهِ ﷺ؟ فكلَّمَهُ أسامةُ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: أتَشْفَعُ في حدٍّ من حدودِ اللهِ؟ ثم قامَ فاختطَبَ ثم قال: إنما أهلكَ الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرَقَ فيهمُ الشريفُ تَركوه، وإذا سرقَ فيهمُ الضعيفُ أقاموا عليه الحدَّ. وايمُ الله لو أنَّ فاطمةَ بنت محمدٍ سَرقَت لقَطعتُ يدها».

٣٤٧٦ ـ عن ابن مسعودٍ رضيَ اللَّهُ عنْهُ قالَ: «سمعتُ رجلاً قرأ آيةً وسمعت النبيَّ ﷺ يَقرأُ خلافَها، فجئتُ به النبيَّ ﷺ فأخبَرْتهُ، فعرفتُ في وَجهه الكراهيةَ وقالَ: كِلا، كُما مُحْسِنٌ، ولا تختَلفوا، فإنَّ مَن كانَ قبلَكم اختَلَفُوا فهلكوا».

٣٤٧٧ ـ قالَ عبدُ الله: «كأني أنظرُ إلى النبيِّ ﷺ يَحكي نبياً منَ الأنبياءِ ضرَبَهُ قومُهُ فأدمَوْه، وهو يَمسَحُ الدَّمَ عن وجهه ويقول: اللَّهُمَّ اغفرْ لقومي فإنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ».

[الحديث ٣٤٧٧ - طرفه في: ٦٩٢٩]

٣٤٧٨ ـ عنْ أبي سعيدٍ رضي اللَّهُ عنْهُ عن النبيِّ ﷺ «أنَّ رجُلاً كانَ قبلكم رَغَسَهُ اللَّهُ مالا، فقال لبنيه لما حُضِرَ: أيَّ أبٍ كنتُ لكم؟ قالوا: خيرَ أبٍ. قال فإني لم أعمَلْ خيراً قطُّ، فإذا مُتُّ فأحرقوني، ثمَّ اسْحَقُونِي ثم ذَرُّوني في يومٍ عاصِف، فَفَعلوا فجمَعَهُ اللَّهُ عزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: مَا حملكَ؟ قالَ: مخافتُك فتلقَّاهُ برحمته».

[الحديث ٣٤٨٧ - طرفاه في: ٦٤٨١، ٧٥٠٨]

٣٤٧٩ ـ قالَ عُقبةُ لحُذَيفةَ: ألا تُحدِّثُنا ما سمعتَ من النبيِّ ﷺ؟ قالَ: سمعته يقول: إنَّ رجلاً حضَرَهُ الموتُ لما أيِسَ من الحياةِ أوصى أهلَهُ: إذا مُتُّ فاجمَعوا لي حطباً كثيراً، ثم أوْرُوا ناراً، حتى إذا أكلتْ لحمي وخلَصَت إلى عظمي فخُذوها فاطحَنوها فذرُّوني في اليَمِّ في يوم حارٍّ -أو راحٍ- فَجَمَعَهُ الله فقال: لم فعلتَ؟ قالَ: خَشْيَتَكَ فغفرَ له» .

٣٤٨٠ ـ عن أبي هريرةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «كانَ الرَّجُلُ يُداينُ الناسَ، فكان يقولُ لفَتاهُ: إذا أتيتَ مُعسِراً فتجاوَز عنه، لعلَّ اللهَ أن يَتجاوَزَ عنا. قال: فلَقِيَ الله فَتجاوَزَ عنه».

٣٤٨١ ـ عنْ أبي هريرةَ رضيَ اللَّهُ عنْهُ عنِ النَّبيِّ ﷺ قالَ: «كانَ رجُلٌ يُسرِفُ على نفسه فلما حضرَهُ الموتُ قال لبَنيه: إذا أنا مُتُّ فأحرقوني، ثم اطحَنوني، ثمَّ ذرُّوني في الريحِ، فو الله لئن قدَرَ اللَّهُ عليَّ ليُعذِّبَنِّي عذاباً ما عذَّبَهُ أحداً. فلما مات فُعلَ به ذلك، فأمرَ اللَّهُ الأرضَ فقال: اجمَعي ما فيكِ منه، ففعلَتْ، فإذا هو قائم، فقال: ما حملَكَ

على ما صنعت؟ قال: يا رب خَشْيَتُكَ. فغفرله». وقال غيرهُ «مخافَتُكَ يا ربِّ».

[الحديث ٣٤٨١ - طرفه في: ٧٥٠٦]

٣٤٨٢ ـ عنْ عبدِ الله بن عمرَ رضيَ اللهُ عنهُمَا أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «عُذِّبَت امرأةٌ في هرَّةٍ ربَطتْها حتى ماتَتْ فدخَلَتْ فيها النارَ لا هِيَ اطْعَمَتْهَا وَلا سقَتْها إذ حبَسَتْها ولا هيَ تركتها تأكلُ من خَشاشِ الأرضِ».

٣٤٨٣ ـ عنْ عُقبة قال: «قال النبيُّ ﷺ «إنَّ مما أدركَ الناسُ من كلامِ النبوَّة: إذا لَمْ تَسْتَحيِ فافعلْ ما شئت».

[الحديث ٣٤٨٣ - طرفاه في: ٣٤٨٤، ٦١٢٠]

٣٤٨٤ ـ عن أبِي مسعودٍ قالَ النبيُّ ﷺ «إنَّ مما أدركَ الناسُ من كلامِ النُبُوَّة: إذا لم تَسْتَحِي فَاصنَعْ ما شئت».

٣٤٨٥ ـ عنِ ابنِ عمر أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يجرُّ إزارَهُ من الخُيَلاءِ خُسفَ به، فهو يُجَلجَل في الأرض إلى يومِ القيامة».

[الحديث ٣٤٨٥ - طرفه في: ٥٧٩٠]

٣٤٨٦ ـ عن أبِي هريرةَ رضيَ اللهُ عنْهُ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «نَحْنُ الآخرونَ السابقونَ يوم القيامةِ، بَيْدَ كلُّ أمَّةٍ أُوتوا الكتابَ من قبلنا وأُوتينا من بعدِهم، فهذا اليومُ الذي اختلَفوا فيه، فَغَداً لليهود، وبعد غَدٍ للنصارى».

٣٤٨٧ ـ «عَلَى كُلِّ مسلم في كلِّ سبعةِ أيامٍ يومٌ يغسلُ رأسه وجسدَه»

٣٤٨٨ ـ قدمَ معاويةُ بن أبِي سفيانَ المدينةَ آخرَ قَدْمَةٍ قَدِمَها فخطَبَنا فَأخْرَجَ كُبَّةً من شَعَرٍ فقال: ما كنتُ أرَى أن أحداً يفعلُ هذا غيرَ اليهود، وإنَّ النبيَّ ﷺ سمَّاه الزُورَ. يعني الوصالَ في الشَّعر».تابعه غُندرٌ وعن شعبة.

قوله (فتناول قصة) هي شعر الناصية، والحرسي: واحد الحراس.

قوله (أين علماؤكم) فيه إشارة إلى أن العلماء إذ ذاك فيهم كانوا قد قلوا، وهو كذلك لأن غالب الصحابة كانوا يومئذ قد ماتوا، وكأنه رأى جهال عوامهم صنعوا ذلك فأراد أن يذكر علماءهم ويُنَبِّهَهُم بما تركوه من إنكار ذلك.

قوله (فأتى راهبا) فيه إشعار بأن ذلك كان بعد رفع عيسى عليه السلام، لأن الرهبانية إنما ابتدعها أتباعه كما نص عليه في القرآن .

قوله (فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا) زاد في رواية هشام «فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا كان نصف

الطريق أتاه ملك الموت».

قوله (فناءَ) أي بَعُد.

قوله (فاختصمت فيه) في رواية هشام من الزيادة «فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب أنه لم يعمل خيرا قط، فأتاه ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيهما كان أدنى فهولها».

قوله (فأوحى[1] الله إلى هذه أن تباعدي) أي إلى القرية التي خرج منها (وإلى هذه أن تقربي) أي قرية التي قصدها، وفي الحديث مشروعية التوبة من جميع الكبائر حتى من قتل الأنفس ويحمل على أن الله تعالى إذا قبل توبة القاتل تكفل برضا خصمه، وفيه فضل التحول من الأرض التي يصيب الإنسان فيها المعصية، لما يغلب بحكم العادة على مثل ذلك، إما لتذكره لأفعاله الصادرة قبل ذلك والفتنة بها، وإما لوجود من كان يعينه على ذلك ويحضه عليه، ولهذا قال له الأخير: ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، ففيه إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي إعتادها في زمن المعصية، والتحول منها كلها والاشتغال بغيرها، وفيه فضل العالم على العابد لأن الذي أفتاه أولاً بأن لا توبة له غلبت عليه العبادة فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك القاتل من استجرائه على قتل هذا العدد الكثير، وأما الثاني فغلب عليه العلم فأفتاه بالصواب ودله على طريق النجاة، قال عياض: وفيه أن التوبة تنفع من القتل كما تنفع من سائر الذنوب، واستدل به على أن في بني آدم من يصلح للحكم بين الملائكة إذا تنازعوا، وفيه حجة لمن أجاز التحكيم، وأن من رضي الفريقان بتحكيمه فحكمه جائز عليهم.

قوله (وما هما ثم) أي ليسا حاضرين، وهو من كلام الراوي.

قوله (عقارا) العقار في اللغة المنزل والضيعة وخصه بعضهم بالنخل، ويقال للمتاع النفيس الذي للمنزل عقار أيضاً.

قوله (فوجد الرجل الذي اشترى العقار[2] في عقاره جرة فيها ذهب، فقال له: خذ ذهبك فإنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع الذهب). في رواية إسحق بن بشر أن المشتري قال إنه اشترى دارا فعمرها فوجد فيها كنزا، وأن البائع قال له لما دعاه إلى أخذه ما دفنت ولا علمت، وأنهما قالا للقاضي: ابعث من يقبضه وتضعه حيث رأيت، فامتنع، وعلى هذا فحكم هذا المال حكم الركاز في هذه الشريعة إن عرف أنه من دفين الجاهلية، وإلا فان عرف أنه من دفين المسلمين فهو لقطة، وإن جهل فحكمه حكم المال الضائع يوضع في بيت المال،

(١) رواية الباب واليونينية "وأوحى الله"
(٢)رواية الباب واليونينية " فقال له الذي اشترى العقار خذ ذهبك مني إنما اشتريت منك الأرض ولم أبتع

ولعلهم لم يكن في شرعهم هذا التفصيل فلهذا حكم القاضي بما حكم به، وجزم القرطبي بأنه لم يصدر منه حكم على أحد منهما، وإنما أصلح بينهما لما ظهر له أن حكم المال المذكور حكم المال الضائع، فرأى أنهما أحق بذلك من غيرهما لما ظهر له من ورعهما وحسن حالهما وارتجى من طيب نسلهما وصلاح ذريتهما.

قوله (كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبيا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه) لم أقف على اسم هذا النبي صريحاً، ويحتمل أن يكون هو نوح عليه السلام.

وأما النووي فقال: هذا النبي الذي جرى له ما حكاه النبي ﷺ من المتقدمين. وقد جرى لنبينا نحو ذلك يوم أحد.

قوله (رغسه الله) أي كثر ماله.

قوله (فوالله لئن قدر الله علي) قال الخطابي: قد يستشكل هذا فيقال كيف يغفر له وهو منكر للبعث والقدرة على إحياء الموتى؟ والجواب أنه لم ينكر البعث وإنما جهل فظن أنه إذا فعل به ذلك لا يعاد فلا يعذب، وقد ظهر إيمانه باعترافه بأنه إنما فعل ذلك من خشية الله. قال ابن قتيبة: قد يغلط في بعض الصفات قوم من المسلمين فلا يكفرون بذلك، ورده ابن الجوزي وقال: جحده صفة القدرة كفر اتفاقا، وإنما قيل إن معنى قوله «لئن قدر الله عليّ» أي ضيق وهي كقوله {ومن قدر عليه رزقه} أي ضيق، وأما قوله «لعلي أضل الله» فمعناه لعلي أفوته، يقال ضل الشيء إذا فات وذهب، وهو كقوله {لا يضل ربي ولاينسى} ولعل هذا الرجل قال ذلك من شدة جزعه وخوفه كما غلط ذلك الآخر فقال أنت عبدي وأنا ربك»أو يكون قوله «لئن قدّر عليّ» بتشديد الدال أي قدر على أن يعذبني ليعذبني، أو على أنه كان مثبتا للصانع وكان في زمن الفترة فلم تبلغه شرائط الإيمان، وأظهر الأقوال أنه قال ذلك في حال دهشته وغلبة الخوف عليه حتى ذهب بعقله لما يقوله، ولم يقله قاصدا لحقيقة معناه بل في حالة كان فيها كالغافل والذاهل والناسي الذي لا يؤاخذ بما يصدر منه.

قوله (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة) الناس بالرفع في جميع الطرق ويجوز النصب أي مما بلغ الناس، وقوله «من كلام النبوة» أي مما اتفق عليه الأنبياء، أي أنه مما ندب إليه الأنبياء ولم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم، لأنه أمر أطبقت عليه العقول.

قوله (فاصنع ما شئت) هو أمر بمعنى الخبر، أو هو للتهديد أي اصنع ما شئت فإن الله يجزيك، أو معناه انظر إلى ما تريد أن تفعله فإن كان مما لا يستحى منه فافعله وإن كان مما يستحى منه فدعه، أو المعنى أنك إذا لم تستح من الله من شيء يجب أن لا تستحى منه من أمر الدين فافعله ولا تبال بالخلق، أو المراد الحث على الحياء والتنويه بفضله، أي لما لم يجز صنع جميع ما شئت لم يجز ترك الاستحياء.